قافلة الزيت

ربيع الأول ١٣٨٩ - مايو - يونيو ١٩٦٩



بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

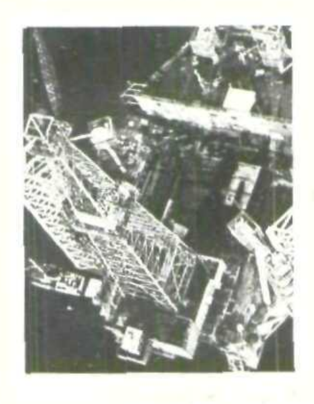
العدد الثالث – المجلد السابع عشر

تصدر شهرياً عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزع مجاناً

رئيس التحرير والمدير المسؤول منصور مدني
المحرر المساعد عوني أبو كشك

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩
الظهران ، المملكة العربية السعودية

صورة الغلاف



تتطلب عمليات التخطيط للزيت حفر عدد كبير من الآبار المنتجة . (راجع المقال)
تصوير : برني مودي

تصميم وطباعة مطابع المطوع – الدمام – هاتف ٤٣٣١ – ص. ب ٣٤٣
Designed and Printed by Al-Mutawa Press, Dammam Tel. 4331 - P. O. Box 343

محتويات العدد

مولد الهدى

عمّت الضلالة بقاع الأرض ، وانتشرت الغواية بين بني البشر ، الا من ندر منهم ، وسدرت قريش في مباذلها لا يردعها رادع من قول أو عمل ، فأباحت الدماء والأموال والأعراض، وامتهنت حرمة الكعبة المشرفة ، فأقامت في أركانها الأصنام من الطين والحجارة ، واتخذت الأنصاب والأزلام من التمر والدقيق ، فكانت تخشع لها بالعبادة تارة ، وتتجنى عليها بالأكل تارة أخرى .. ان مسها ساغب الجوع . وانتهك الُحمس من قريش الحرمات فدفعوا النسوة الى الطواف بالكعبة عاريــات ، كما ولدن . وسولت نفس أبرهة الحبشي لـه أن يعتدي على البيت العتيق ، فجهز جيشا عرمرما جعل في مقدمته الفيلة ، ولم يلبث سكان مكة – حين رأوه – أن سلموا أمر البيت لصاحبه : « .. وللبيت رب يحميه » ، فأباد الله جيش ابرهـة بعصابة من الطير سلاحها « حجارة من سجّيل » .

في ذلك العام ، وفي مثل هذا الشهر ولد فتى يتيم الأب ، لعائلة فقيرة مــن قريش . قالت أمه : « لقد حملت به ، فما وجدت لـه مشقة حتى وضعته ، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء لـه ما بين المشرق والمغرب ، ثم وقع على الأرض معتمدا على يديه ، رافعا رأسه الى السماء » . وقالت زوجة أبي العاص ، وكانت قد حضرت مولده : « لقد شهدت ولادة آمنة بنت وهب ليلة ولدتـه ، فما شيء أنظره في البيت الا نوّر . ولقد رأيت النجوم تدنو ثم تدنو ، حتى خشيت أن يقعن عليّ . »

كان ذلك مولد الهدى الذي اصطفاه الله ليكون مبعوثه الى العاملين . ولحكمة ما كان مولده في بطن مكة ، وكان الكتاب الذي أنزله عليه فيما بعد « بلسان عربي مبين » ، وكان انحداره من قبيلة عربية . فحقّ للعرب اذن أن يفخروا ما جعلوا الكتاب دستورهم والنبي أمامهم .

وقد بُعث النبي العربي في أمة لا حول لها ولا قوة ان هي قيست بغيرها من الأمم السائــدة حينذاك . بيد أن هذه الأمة المستضعفة لم تلبث الا يسيرا حتى ملكت برسالتها السمحاء ودعوتها الحقة العالم شرقا وغربا ، بعد أن نبذت ما كانت منغمسة فيه من ترهات ، وتخلصت مما كان ينخر في بناء مجتمعها من آفات ، فتركت الوأد والثأر ، وساوت بين بني البشر لا يفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى ، وتكتلت ، وتكاتفت ، واعتصمت بحبل البر والاحسان .

وبعد ، فما أحرانا في مثل هذا الوقت من كل عام أن نقف لحظة فنرى الى أي مدى استجبنا لداعي الحق والخير والفضيلة ..

رئيس التحرير

من رثاء الزوجة في الشعر العربي

بقلم الاستاذ محمود الشرقاوي

مودة ورحمة وسكينة : تلك هي أصدق الأوصاف والصفات وأجملها في وصف العلاقة الزوجية ، كما قال الله تعالى : **« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة»** . وقال تعالى : **« هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »** .

هذه العشرة الكريمة الخالدة القائمة على أكرم العواطف ، اذا أراد الله لها أن تنفصم بوفاة الزوجة ، فكيف يقع ذلك من نفس الزوج وقلبه واحساسه ؟ وكيف يجيد الشعراء وصف هذه الاحساسات والعواطف ؟

في أدبنا نجد طائفة غير قليلة ممن عبّروا عن حزنهم لفقد زوجاتهم ، وفجيعتهم فيهن ، فأجادوا وأحسنوا ورثوا هؤلاء الزوجات رثاء باقيا :

• جرير والفرزدق : مع ما نعرف من التخاصم والتدابر الذي سيطر على نفس الشاعرين الكبيرين وجعل حياتهما وشعرهما سجلا ممتدا حافلا من الهجاء ، فنحن نجدهما قد التقيا عند هذه العاطفة الكريمة : الوفاء للزوجة . نجد لجرير هذه القصيدة الباكية الحزينة في رثاء زوجه « خالدة » أم ولده « حزرة » .

لولا الحياء لعادني استعبار
ولزرت قبرك ، والحبيب يزار
ولقد نظرت ، وما تمتع نظرة
في اللحد حيث تمكن المحفار

ثم يصف حاله وسهره بعد فقدها وقد كبرت سنه ، وتركت له صغارا ضعافا لا تزال معلّقة في أعناقهم التمائم :

ولّهت قلبي اذ علتني كبرة
وذوو التمائم من بنيك صغار
أرعى النجوم ، وقد مضت غوريّة
عصب النجوم كأنهن صوار (١)

ثم يصف خلقها الكريم ورعايتها له وجمالها الساكن الوقور فيقول :

كانت مكرّمة العشير ولم يكن
يخشى غوائل أم حزرة جار
ولقد أراك كسيت أجمل منظر
ومع الجمال سكينة ووقار
والريح طيّبة اذا استقبلتها
والعرض لا دنس ولا خوار (٢)

ولم يعف جرير غريمه الفرزدق من اللوم

---

(١) عصب النجوم : فرقها ، والصوار قطيع بقر الوحش . (٢) القصيدة طويلة ، وهي من ديوان جرير ، بشرح محمد اسماعيل عبد الله الصاوي .

والهجاء في هذه القصيدة ، ذلك لأنه عاب « خالدة » ولامه على رثائها ، فالمرأة – في رأي الفرزدق – ليست مما يحزن الرجل لفقده ، ولكن الفرزدق نفسه عندما طلبت زوجته « نوار » الطلاق منه ، لسوء خلقه كما قالت ، طلقها ، ثم ندم على طلاقها ، وقال في حزنه عليها هذه الأبيات الصادقة الاحساس :

ندمت ندامة « الكُسعي » لما
غدت مني مطلّقة « نوار »
وكانت جنتي فخرجت منها
كآدم حين لجّ به الضرار
وكنت كفاقىء عينيه عمدا
فأصبح ما يضيء له النهار
وما فارقتها شبعا ولكن
رأيت الدهر يأخذ ما يعار

• وماتت زوجة أعرابي وتركت له طفلا رضيعا يبكي لفقدها ، فقال أبوه يصف حاله وحال الطفل ويرى أن كليهما يتوجّع لفقدها ، حتى لا يعرف أيهما أكثر وجيعة من صاحبه :

فوالله ما أدري ، اذا الليل جنّني
وذكّرنيها : أيّنا هو أوجع
أمنفصلٌ عن ثدي أم كريمة
أم العاشق النابي به كل مضجع

• ومسلم بن الوليد ، صريع الغواني الذي عاش حياة عابثة لاهية ، والذي وصف حياته هذه ، فقال :

نفسي تنازعني اللذات دائبة
وانما اللهو واللذات من أربي

هذا

الشاعر الذي عاش حياته تلك يحدث رواة أخباره أنه كانت له زوجة من أهله كانت تكفيه أمره وتستره فيما تليه له منه ، فماتت ، فجزع عليها جزعا شديدا ، وتنسك مدة طويلة ، وعزم على ملازمة ذلك ، فأراد بعض أخوانه أن يرفه عنه فأنشأ يقول :

دعاني وافراط البكاء فانني
أرى اليوم فيه غير ما تريان
غدت والثرى أولى بها من وليّها
الى منزل ناء لعينك داني
فلا حزن حتى تنزف العين دمعها
وتعترف الأحشاء للخفقان
وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها
وسهماهما في القلب يعتلجان

فهذه الزوجة البارة التي أسعدت زوجها في حياتها كانت سببا في توبته عن مجونه .

• ومويلك المزموم يقول في رثاء زوجته « أم العلاء » ، وكانت قد تركت له يتيمة صغيرة يثير ضعفها الرحمة حيث لا تجزع على أمها الرحيمة الحلوة الشمائل ، لأنها ، لصغرها وضعفها ، لا تدري معنى الجزع ، فاذا سمع أبوها أنينها في الليل طال بكاؤه :

فلقد تركت يتيمة مرحومة
لم تدر ما جزع عليك فتجزع
فقدت شمائل من لزامك حلوة
فتبيت تسهر أهلها وتفجّع
واذا سمعت أنينها في ليلها
طفقت عليك شؤون عيني تدمع

• ونعرف من تاريخ « محمد بن عبد الملك الزيات » وزير « المتوكل العباسي » أنه كان قاسيا مع خصومه وخصوم الخليفة ، حتى انه كان يقول لمن يطلب اليه الرحمة منهم : « الرحمة خور في الطبيعة » . ثم ماتت زوجه فرثاها بهذا الشعر الذي يفيض بالحزن واللوعة والصدق :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه
بعيد الكرى عيناه تبتدران

يرى هذا الطفل الباكي الأمهات وأبناءهن يتناجيان في الليل ، وهو وحيد في فراشه يفيض قلبه بالحزن :

رأى كل أم وابنها غير أمه
يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيدا في الفراش تحثه
بلابل قلب دائم الخفقان

شعر

يقول لصاحبيه : لا تلوماني على البكاء ، فأنا أداري بهذا الدمع ما تريان من الحزن .

وان قبرا في الثرى يضم من كان يملأ كل قلبي ، لأحقّ مكان بالزيارة وتعلق القلب ، فعسى أن تكونا أيها الصديقان في انتظاري اذا رجعت الى مكان الحب والحنين هذا :

فلا تلحياني ان بكيت فانما
أداوي ، بهذا الدمع ، ما تريان
وان مكانا في الثرى خط لحده
لمن كان في قلبي بكل مكان :
أحقّ مكان بالزيارة والهوى
فهل أنتما ان عجت ، منتظران ؟

• وفي ترجمة « ابن جبير » الرحالة الأندلسي ، نجد أن له شعرا ، بل ديوانا من الشعر ، قاله في رثاء زوجه خاصة ، وكان اسمها « أم المجد » وقد حفظ لنا تاريخه اسم هذا الديوان الذي يدل على مكانها عنده كما يدل على حزنه البالغ عليها : « نتيجة وجد الجوانح ، في رثاء القرين الصالح » ولكني لم أستطع أن أجد – رغم بحثي وصبري – من شعر هذا الديوان شيئا .

• أما « السيد مرتضى الزبيدي » المحدّث اللغوي صاحب « تاج العروس من شرح جواهر القاموس » فقد ماتت زوجه « زبيدة » ، فحزن عليها حزنا شديدا ، وقال في رثائها شعرا كثيرا ، منه :

خليلي : ما للأنس أضحى مقطّعا
وما لفؤادي ما يزال مروعا
أمِن غير الدهر المشتّ وحادث
ألمّ برحلي ..؟ أم تذكرت مصرعا ..؟
والا فراق من أليفة مهجتي
« زبيدة » ذات الحسن والفضل أجمعا
مضت فمضت عني بها كل لذة
تقرّ بها عيناي فانقطعا معا
فمن مبلغ صحبي ، بمكة ، أنني
بكيت فلم أترك لعيني مدمعا

ومن شعره فيها :

أقول ، وما يدري أناس غدوا بها
الى اللحد ، ماذا أدرجوا في السباسب
تأخرت عنها في المسير وليتني
تقدمت لا ألوي على حزن نادب

وأجود ما حفظ من شعر « المرتضى الزبيدي » هو الذي رثى فيه زوجته تلك .

• وفي العصر الحديث نجد آخرين من الشعراء رثوا زوجاتهم رثاء صادقا حزينا ، منهم « محمود سامي البارودي » الذي ماتت زوجته وهو في المنفى بجزيرة سرنديب « سيلان » ، وكان قد كبر سنه وكفّ بصره ، فقال يرثيها ويبكيها :

أيد المنون : قدحت أي زناد
وأطرت أية شعلة بفؤادي
أوهنت عزمي وهو حملة فيلق
وحطمت عودي وهو رمح طراد

ومنها :

ما كنت أحسبني أراع لحادث
حتى منيت به فأوهن آدي(٤)
يا دهر فيم فجعتني بحليلة
كانت خلاصة عدّتي وعتادي
ان كنت لم ترحم ضناي لبعدها
أفلا رحمت من الأسى أولادي ؟

* * *

ومن البلية أن يسام أخو الأسى
رعْيَ التجلد وهو غير جماد
هيهات بعدك أن تقرّ جوانحي
أسفا لبعدك أو يلين مهادي
فاذا انتهيت فأنت أول ذكرتي
واذا أويت فأنت آخر زادي

---

(٤) الآد : القوة .

ما بـين سقم باطن أكـل الحشا
بلهيب سورتـه وسقـم بـاد

ثم يذكر ما كان يأمل من العودة الى وطنه بعد هذا النفي ، حيث يلقاها وتلقاه : كان عزاؤه في الحياة وسلوى غربته الذي يعيش ليراه أن يذكر هذا الأمل الذي حال دونه موتها ، فيقول في ختام قصيدته راضيا بأن سيلقاها يوم القيامة :

قـد كدت أقضي حسرة لـو لم أكن
متوقعـا لقيـاك يـوم معـادي
فعليـك مـن قلـبي التحية كلما
نـاحـت مطـوّقة على الأعـواد

وهي قصيدة طويلة تحوي «٦٧ بيتا» فيها من الاحساس القوي والشعر الصادق شيء كثير .

• ومن المعاصرين الذين فجعهم الموت فـي زوجاتهم الشاعر الأديب الفلسطيني المرحـوم «خليل السكاكيني» وله في رثاء هذه الزوجة ، وكان اسمها «سلطانة» شعر ونثر جيد كثير ، وقد ظل بعد موتها يردد ذكراها ، ويستعيد أيام سعادته معها ، فما يزيده هذا التذكر الا لوعة وأسى . يقول :

تذكـرت أيـام السعادة علّهـا
تخفف من حزني ، وتشفي حزازتي
وقلت : لقد كنّـا وكنّـا فزادني
أسى والتياعـا ذكـر تلك السعادة
فحاولت أن أنسى فلم تجد حيلـتي
ولم يكن النسيان طوع ارادتـي
تجلّدت لكن لـم يفدني تجلدي
شكوت ولكن لـم تفدني شكايتي

وهو يتعلل بالأمل الكاذب ، ويحس أن عمره كله أصبح شيئا تافها ليس وراءه غاية ولا منه جدوى ، وصارت لياليه نواحا متصلا متلاحقا وليس له سلوى غير قبرها :

تعلّلـت بالآمال أرقب وقتهـا
فلـم تكـن الآمال غير علالة
وأصبح عـمري بعـد ذلك فضلـة
أروح وأغـدو فيـه من غير غاية
وعادت ليـاليّ المـلاح مناحـة
تقام بهـا الأتراح اثـر مناحة
وبدل عيشي بعـد صفوى غصّة
أرددها في الصدر دون اساغـة
ولم يبق لي مـن سلوة غير قـبرها
اليـه أوالي ، ما حييت ، زيارتي

فاذا جاء يوم ذكرى ميلادها استبدت بـه ذكراها وأغرقته في حزن عميق وغمرته ذكرى أيامها السعيدة الهنيّة قبل أن يهدم الدهر صرح سعادتهما فلا يجد سوى البكاء عزاء وسلوى :

أسعفـانـي بـالبكـاء
ودعـا كـل عـزاء
لا تقـولا : الصبر يجـدي
حـين يشتـد البـلاء
ليس يجـدي الصبر ان لـم
يـك فـي الصبر رجـاء

* * *

آه واشـوقـي الـى
سلطانـتي : زيـن النساء
آه واشـوقـي الـى
أيـامنـا الغـرّ الـوضاء
يـوم كنـا نغـنـم الأنس
صبـاحـا ومسـاء
يـوم كنـا نتعـاطـى
أكـؤس الصّفـو مـلاء
يـوم كـنـا سعـداء
يـوم كـنـا سعـداء

وقد جمع «خليل السكاكيني» أغانيه الحزينة هذه فـي ديوان سماه «لذكراك» يقصد زوجته «سلطانة» . ومن أجود ما فيه قصيدته التي سماها باسم الكلمتين الأوليين من معلقة «امرىء القيس» : «قفا نبك» ، ولكن «امرؤ القيس» يخـاطب رفيقيه ، و «خليل السكاكيني» يخاطب عينيه ليجودا بالدمع الغزير :

قفـا نبك من ذكرى أذابت حشاشتي
ولا تبخلا بالدمع ، فالـدمـع حاجتي
قفـا أسعفاني فـي مصابي فانـني
أراه مصابـا قـد تجـاوز طاقـتي

* * *

تلفّـت عـلي أن أراهـا فجـاءة
وأصغيت علي أن أفـوز بنـأمـة
وقلت : هنـا عاشت ، وهذا مكانها
وكدت أناديهـا ، على مثـل عادتي
فلـم ألق الا خدعـة بعد خدعـة
ولـم ألـق الا مـا يشقّ مـرارتي

• ومن أجود وأصدق ما قيل في الشعر في رثاء الزوجة هذا الذي نجده عند «عبد الرحمن صدقي» في ديوانه : «من وحي المرأة» يقصد بها زوجه ، وكانت ايطالية متمصرة قارئة واسعة الثقافة دخلت حياته ، فملأتها بالنظام والبهجة والاشراق ، وجعلته يعود الى الشعر بعد انقطاع . فلما ماتت بعد أربع سنوات قصار كتب في رثائها ثلاثين قصيدة تضمّنها هذا الديوان . من هذه القصائد قولـه :

كان لـي فـي أخريـات الـ
ـعمـر بيـت ، فعدمتـه
سنـوات أربـع أم
كان ذا حلـمـا حلمتـه
بـرهـة ، وانتبـه الدهـر
فعـفّـى مـا رسمتـه
أتـرى الـرضـوان ذنبـا
أثـمتـه وأثـمتـه؟
كـل مـا أعـرف أنـي :
كـان لـي بيـت عـدمتـه

وقولـه :

فغاضت كما غاض الربيع ، وانمـا
ربيعي بعد اليوم هيهات يـورق
شريكة درسي : تلك أسفار مكتبي
خرس وكانت فـي جوارك تنطق
فمالي الى الأسفار بعدك نهضة
ولا متعة فيمـا يشوق ويـونـق
وكنت جعلت القفـر حولي جنـة
وقـام من الفوضى نظـام منسق
فخلّفـت فـي بيتي سرابـا بقيعة
صوانك بالأبراد والحـلي يـبرق

ويذكر الشاعر «يوم ذكرى ميلاده» وكيف كان هذا اليوم قبل موتها يحمل لـه الأفراح والمسرات ولقاء الأحبة ، فلما عاد بعد موتها وجد بيتا مهيضا مهدما يشتمل على أشباح أجساد . ثم يذكر فقد هذه الزوجة وما فعل به :

أقول ، والقلب في أضلاعه شَرِقٌ
بالدمع : لا عدت بي يا يوم ميلادي
نزلت بـي ودخيل الحزن يعصف بي
وفادح البثّ مـا ينفـكّ معتـادي
وكنت تحمل لي ، والشمل مجتمع
أنسا يفيض على زوجـي وأولادي
فانظر ترى الدار قد هيضت جوانبها
وانظر تجد أهلها أشباح أجساد
فقدتـهـا خلّـة للنفس كافيـة
تكاد تغني غنـاء المـاء والـزاد
تحنـو عليّ وترعانـي وتبسط لي
في غمرة الرأي ، رأي الناصح الهادي ■

مشعل الصحراء

للدكتور الشاعر زكي المحاسني

جاء الربيع بشهره الشادي   فأثار ذكرى الحب في النادي
والذكريات خواطر سنحت   عشنا بهن برائع غادي
هي كالطيور لدى مكامنها   نامت بلا صوت ولا عادي
حتى تحرك حلو مضجعها   يد لامس أو خطو مرتاد
فتهب تملأ ساحها ، ولها   طرب تردد عند أعياد
أو رنة العبرات تخنقها   فتنوح في محزون انشاد
يا من رأى الأطيار ساجعة   ووعى لها مكنونها البادي
يا ليتني معها على فنن   لأكون فيها بين أنداد

* * *

ركب مشى والشمس لافحة   فوق الرمال بجمر وقاد
من منبع الصحراء مطلعه   وطوى الفيافي نحو آماد
حمل الحجى والخير مشعله   تبدو بشائره لرواد
صحراء ، يا عز الدنى رقدت   في رملك المسماح أجدادي
ردوا على رفيف واحتها   ونخيلها في عهد اسعادي
هي بحر أحلامي بلا غرق   أنا سابح في مائها الهادي
اني طبعت على مجائمها   قدمي لدى سهل وفي الوادي
ورجوت ريح الصبح تملؤها   ويدوم مرتعها لقصاد
أنظر الى الأشعار ، ان لها   منها المثال كوشي أبراد
« الصحصحان » قصيدة نظمت   أبياتها ببديع آباد
فيها القوافي نغمة عزفت   يسري على تردادها الحادي
لملم هواي على مرابعها   والليل حثحث نار أجواد
رغم الحضارة لست أبرحها   وعلى الحضارة ألف زهاد
تحت الخيام لضجعتي وله   بالعرب ، عنعنه باسناد
وتطيب ذكراها ويحزنها   من في الخيام اليوم من صادي

* * *

هات الربيع على اسم أوله   واشفع معانيه بامداد
ذكرى الرسول محمد وبه   فتح الفتوح بنور ميلاد
تروى القصور على ترادفها   مجدا له من خلف أمجاد

* * *

قل للحسام ، بلثم صفحته :   تحيا السيوف بغير أغماد
كان الرسول محاربا ولقد   هتفت له الذكرى بميعاد
كفكف دموعك ما أفاد بكى   واجل السيوف ليوم اعداد
فالعرب والاسلام معتصم   والله عونهما بانجاد



البريد الأدبي

بقلم الاستاذ وديع فلسطين

لعلّ الناس عند الفراق لم تعد تسكب أدمعا سخينة وتحمل همّا ثقيلا كما كان حالها في غوابر العهود ، فقد غدا العالم « قرية صغيرة » يذرعها المسافر في يوم أو بعض يوم ، وأصبح أنأى الديار على بعد فراسخ قليلة بفضل مارقات الجو ذوات الجناح الفضي ، بل لعل الناس أصبحت على اتصال وثيق دائم بفضل السلكي واللاسلكي ، أو لعلهم صاروا في المواجهة تماما بفضل التلفزيون وما نحن بسبيل انتشاره من أجهزة الهاتف التلفزيون المرئيّ ، فيتحدث الحاضر مع الغائب حديث مشافهة ومعاينة واصاخة في آن واحد .

بيد أن هذه الوسائل جميعا لم تلغ الحاجة الى البريد ، وما أسعد الناس ببريدهم الوافد ، وما أحرصهم على بريدهم الذاهب ، ففي البريد عصارة القلب وذؤابة الفؤاد وحرارة الشوق ودفء العاطفة وجهارة المصارحة . وفي البريد المطوي همسات المتهامسين ومطارحات المتطارحين ونجاوى المتناجين ، وفيه يخاطب القلب القلب بغير حجاب ، ويسطر القلم ما يجول في الذهن من آراء وما يصطرع في النفس من مشاعر بلا حرج . فللبريد حرمة ، وله خصوصية ، ومن محرراته ضنائن يعتز بها أصحابها ، وكثرة من الشرائع تنتقم من الذين يعبثون بالبريد ويتطفلون عليه لأنهم بذلك يتلهّون بأسرار الناس وأخبارهم ، ويتلصصون على نبضات القلوب بسماجة وفجاجة وغلظة .

ولم يفت الشعراء أن يتناولوا البريد وسعاته في شعرهم المرويّ . فاذا استنجدنا بالذاكرة – وهي خؤون – أسعفتنا بأبيات للشاعر شفيق معلوف يصف فيها ساعي البريد وكأن همه الوحيد في الحياة هو توزيع البسمات على الشفاه وحمل الرسائل التي « تفوح منهن أطياب المواعيد » . فهو يقول :

ساعي البريد وما ينفك منطلقا
وكل باب لديه غير موصود
يسعى بأكداس أوراق مغلّفة
تفوح منهنّ أطياب المواعيد

اما الشاعر محمد عبد الغني حسن ، فانه منذ ما اغترب عنه أنجاله الثلاثة الى أعماق البرازيل السحيقة نشدانا لأسباب النجاح مهما استعصى سبيلها ، جعل نفسه مرصادا لحركات ساعي البريد ، يرقبه من الشرفة ومن النافذة ومن السطح والدرج ، ويهرع اليه بخطى متسارعة عسى أن يكون في جملة اضماماته رسالة أو بطاقة من « نبيل » أو أخويه . وله في هذا المعنى قصيدة من خوالد الدرر .

ومن الشعراء من استصوب جعل الرسائل وقودا لألسنة النار ، حتى أن الدكتور ابراهيم ناجي استيقظ ذات ليلة من عصيبات الليالي ، يعالج أسباب النوم ، ولا نوم ، ويحاول الرقاد ، ولا رقاد ، وكيف يغفو وفي خزانته رسائل زرقاء ترقد « كالطفل في أحلامها » ، فنهض هاتفا :

وحلفت لا رقدت ولا ذاقت شهيّ منامها
أضرمت فيها النار تسعى في عزيز حطامها !

وعلى هذا النهج سار الشاعر نزار قباني مستجيرا بالنار من حلو الرسائل ، فقال :

غدا اذا جاء أعطيه رسائله
ونطعم النار أحلى ما كتبناه

ولئن كان البريد الدارج بين سواد الناس حافلا بأمور دارجة لا تفيد كثيرا في أغراض الحياة ، الا من حيث اشباع الفضول الى جديد الأخبار والاطمئنان على الصحة والأحوال ، فان البريد الذي يتبادله أولو الرأي وأهل الفكر ورجال العلم والقلم يتميّز على ما عداه من بريد بأنه قلّما يدور في دوامة الحياة اليومية الرتيبة ، وقلما يعالج المسائل العارضة التي تفقد جدواها سريعا ، والأرجح أن مادته تتطرق الى المشكلات الأدبية والفكرية ، وتبدي فيها من الآراء ما لا تأذن الظروف الملابسة بابدائه والجهر به . وهذه الرسائل ، بحكم خصوصيتها وسريّتها ، لا تخلو من مكاشفات في أمور شخصية أو مطارحات في أمور عامة شجّع على الخوض فيها أن الكاتب يعرف سلفا أن رسالته غير مأذون لها بالذيوع والانتشار ، وأن كلامه انما يراد به شخص بعينه ولا تراد به كثرة كاثرة من الناس .

وعلى هذا نشط سعاة البريد يحملون رسائل أهل العلم والأدب ، ونشط محبّو المراسلة في تدوين خواطرهم مرسلة مطلقة حرّة على الورق ، وهكذا رأينا قوما من طبقة أحمد تيمور ، والأمير شكيب أرسلان ، والشيخ محمد رشيد رضا ، والأب أنستاس ماري الكرملي ، ومصطفى صادق الرافعي ، وأمين الريحاني ، ومي ، يبرون أقلامهم – ولم تكن المراقم (الآلات الكاتبة) قد شاع استعمالها – ويحرّرون الرسائل المطولة شرقا وغربا ، يصلون بها الحبال

مع أضرابهم من أهل الرأي ، ومع طلابهم والمتلمذين عليهم ، ومع المعجبين بأدبهم والمبهورين بتفكيرهم ، بل مع الذين يبغون مجادلتهم في شأن من شؤون اللغة أو أمر من أمور الدين أو الدنيا .

ومع أن طائفة من هذه الرسائل قد نشرت على الناس ، فنشر كوركيس وميخائيل عواد رسائل تيمور باشا الى الأب الكرملي ، ونشر محمود أبو ريه رسائل الرافعي اليه ، ونشر الشيخ الدكتور أحمد الشرباصي رسائل شكيب أرسلان الى الشيخ رشيد رضا ، ونشر الدكتور جميل جبر وطاهر الطناحي رسائل مي الى جمهرة الأدباء ، ونشر سامي الكيالي رسائل أمين الرافعي ، ونشر أحمد محمد عيش رسائل الشاعر جميل صدقي الزهاوي ، فان جملة كبيرة من رسائل أولئك الأعلام ما زالت طيّ الكتمان ، ان لم تكن اجتاحتها عناصر البلى والاهتراء بل العدم . يضاف الى ذلك أن هناك أدباء ومفكرين غيرهم قد أثر عنهم حب المراسلة والمكاتبة ، فحرّروا آلافا من الرسائل في المشارق والمغارب ، وساعد على التوسع فيها سرعة البريد الطائر وقلّة نفقته . فعرفنا أن للمجاهد الكبير محمد علي الطاهر رسائل الى معظم الأسماء المعروفة في تاريخ العرب الحديث (وهو قد نشر مجموعة من رسائل الرئيس الحبيب بورقيبة اليه) ، وعرفنا كذلك أن للدكتور أحمد زكي أبي شادي رسائل كان مستقبلوها ضنين بها وهم كثر في الأقطار العربية والاسلامية وفي المهاجر ودوائر الاستشراق ، وقد رأيت صورا كربونية من هذه الرسائل مسجاة في أضابيرها المنسقة المنظمة ضمن مخلفات أبي شادي في « واشنطن » ، وعرفنا أن الأديب المهجري نظير زيتون قد كان بدوره فارس ميدان مجلّيا في هذا المضمار ، يكتب الرسائل بأسلوبه المسجوع المترسل الفريد ، حتى لتقع الرسالة الواحدة في عشر صفحات ، وكلّها منضدة بسجعة واحدة أو سجعتين وعرفنا أن زميله الشاعر المهجري جورج صيدح هو بدوره سباق في ميدان المراسلة ، وما أكثر ما يفيض به قلمه من المناجيات البريدية لأصدقائه في الدنيا ، وهي مناجيات تتميّز — فضلا عن ألفاظها المسدّدة المنتقاة وتعبيراتها البليغة الكيسة الأداء — بنظرات صائبة في مناحي الأدب ، واستدراكات لا معدى عنها لما يقع فيه الدارسون والباحثون من زلل وغلط ، بعضه غير مغفور ، وعرفنا كذلك أن البحاثة المدقق عجاج نويهض هو بدوره من الراكضين في حلبات البريد ، ورسائله تقع الواحدة منها في عشرين صفحة أو يزيد ، يخلص منها قارئها بنظرات فلسفية في الأدب والحياة وشؤون الفكر وأحوال الناس .

وليس همّنا أن نحصر المكاتبين جميعا في دائرة مقال فرد ، وأنى لنا ذلك وهم قد كانوا ولا يزالون منتشرين في الدنيا ، يعدون بريدهم من الضنائن الأثيرة ، ويذودون عنه أشد ذياد . ويعتزون به اعتزازهم بأثر أدبيّ ثمين أو بتحفة تاريخية مخطوطة ليس لها شبيه أو مثال . ثم ان هذه الرسائل كانت ولما تزل معدودة من الأوراق الشخصية التي لا تنالها قوانين حفظ التراث ولا تطالها التشريعات المتعلّقة بالوثائق التاريخية ، كما أن الأعراف قد جرت على اعتبار البريد ملكا لا لكاتبه ، بل لمن قد أرسل اليه .

ولقد يعنّ لسائل أن يسأل : اذا كانت لمثل هذه المراسلات قيمة أدبية أو فكرية أو تاريخية عظيمة ، فلم لا ينهض الباحثون بجمع فرائدها ونشرها قبل أن تتداولها أيدي العبث أو يفتك بها الذين لا يميّزون حروفها (كما حدث لأوراق ايليا أبي ماضي وزميله الأديب المهجري عبد المسيح حداد ، فقد تخلّص منها الذين آلت اليهم لأنهم لم يستطيعوا تمييز ضاداتها) ولقد كنت في يوم ماض داعية لجمع هذا التراث من المناجيات ، مشجّعا على صونه من أسباب البلى ، ولكنني راجعت نفسي بعد ذلك تلقاء حقائق لا محيص من ادخالها في كل حساب .

صحيح أن بعض هذه الرسائل يلقي ضوءا ساطعا على جوانب تاريخية مجهولة أو زوايا أدبية مغفلة ، وصحيح أن كاتبيها قد أثبتوا فيها آراء بعضها معروف عنهم وبعضها جديد عليهم وما كان اعلانه ميسورا في أيامهم ، ولكن رائدهم الأول في كتابة هذه الرسائل هو اطمئنانهم الى انها باقية طيّ الخفاء الى الأبد ، وأن النشر أو الاذاعة غير مقصودين أو واردين . ولعلّهم لو عرفوا أن رسائلهم ستنتشر على الناس في يوم ما ، لأحجموا عن كتابتها أصلا ، أو لتغيّر أسلوبهم ومناهجهم عند الكتابة . وفي اعتقادي أن هذا الاعتبار هو في صميم الأخلاق ، ولا بدّ من مراعاته ، فتبقى للخصوصيات خصوصيتها ، أما العموميّات فهي معروضة في الطريق للقارئين والدارسين .

ثمّ ان أغلب هؤلاء المراسلين ما زال قريب العهد بنا موصول السبب بالناس . ولئن انقطعت صلة بعضهم بالحياة ، فان لهم من أصلابهم وأنسابهم قوما ما زالوا يضطربون في الدنيا أشد اضطراب ، وأولئك قد يضارون برأي ساقه أبوهم في رسالة ، أو تنالهم جريرة عبارة انطوى عليها خطاب شخصي من ربع قرن أو نصفه . وحتى الذين نشروا رسائل الأدباء والكتاب قد جابهوا شيئا من الحرج الطبيعي في اثبات كامل النص ، فعمد محمود أبو ريه الى حجب بعض رسائل الرافعي ، كما حذف أسماء من بعضها الآخر ، مراعاة لظروف وملابسات قائمة ، ولعل بعض هذه الظروف والملابسات يبقى قائما زمنا طويلا . يضاف الى ذلك أن نشر بعض هذه الرسائل قد جنى على صاحبه ، وبعدما كان الرجل مرموقا بعين الاحترام والتوقير ، استخرج الباحثون من ثنايا رسائله ألفاظا وعبارات تلبسه ثوبا غير ثوبه الذي كان يطالع به الناس ومزاجا غير المزاج الذي كان معهودا فيه من الجمهرة الكبيرة . فاذا كان المراسل أديبة كمي ، نالها من نشر رسائلها رشاش كانت غنية عنه .

يضاف الى ذلك أن كل الرسائل الشخصية لا تخلو من المجاملات المرعية بين الناس ، ولهذا نرى نظير زيتون مثلا يسبغ ألقابا فضفاضة وأماديح سخيّة على الذين يكاتبهم ولو كانوا شداة ناشئين يجهلهم المجتمع الأدبي وتخفى قيمتهم عن معاصريهم . ولو عهد أولئك الى نشر ما بين أيديهم من رسائل كبار الكاتبين ، لاستقامت لهم في الحياة الأدبية « تزكيات » من أعلى المستويات ترشحهم لمنزلة هي أكبر من استحقاقهم . فاذا اعتبرت هذه المجاملات أحكاما نقدية ، لم تصمد على محك الدراسة الأصيلة وأساءت الى ذويها .

وخلاصة الخلاصة أن البريد الأدبي الذي يتداوله رجال الأدب والفكر في صلاتهم الشخصية ينبغي أن تبقى له خصوصيته . فليس مكانه في متحف « يتفرّج » عليه الناس ، وليس موضعه في كتاب « يتسلى » القوم بقراءته ، وليس من خصائصه أن تنبني عليه أسس دراسة أو قواعد نقد . ومكانه الطبيعي أدراج الخزائن ■



أحدى العاملات وهي منشغلة بامتصاص رحيق بعض الأزهار .

غرائب في حياة النحل

بقلم الاستاذ سامي لبان

بدا الكثير من المزارعين في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية يقتنون النحل لنقل اللقاح من برعم الى آخر مما يؤدي الى زيادة الانتاج الزراعي وللحصول على العسل كمورد اضافي لا يكاد يكلف المزارع كبير عناء .

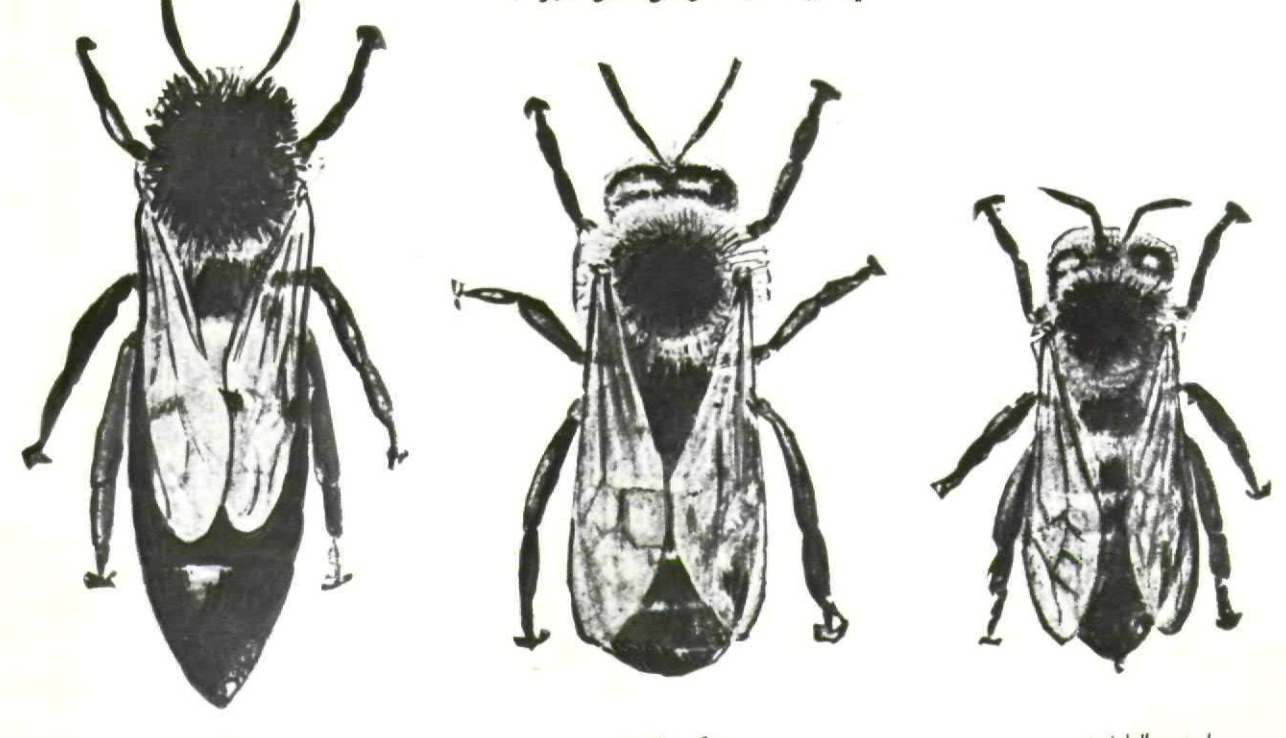
ولعل الكثيرين من الناس لا يعرفون عن النحلة الا أنها تصنع العسل وتلقح الأزهار .. وتلسع الناس . والحقيقة أن أمورا كثيرة أخرى على درجة كبيرة من الغرابة والتنظيم تجري داخل قفير النحل حيث يعيش ما يزيد على ستين ألف نحلة أحيانا تقضي يومها في عمل شبه متواصل .

وعادة ، تكون الخلية الواحدة من ثلاث فئات من النحل تختلف من حيث الشكل والحجم وطبيعة العمل الذي تقوم به . والفئة الأولى تمثل الملكة وهي وحيدة في القفير ، وتختلف عن غيرها من سكان الخلية بافراط طولها وقصر أجنحتها . وتقتصر مسؤولية الملكة على وضع البيض ، وبامكانها وضع نوعين منه ، نوع ملقح يفقس عن « العاملات » وآخر غير ملقح يفقس عن « الذكور » ، وذلك حسب حاجة الخلية . ويتراوح معدل ما تضعه من البيض يوميا ما بين ألف وخمسمائة بيضة وألفي بيضة .

ويكتمل نمو الملكة بعد ستة عشر يوما من وضع البيضة التي تفقس عنها ، وبعد ذلك بحوالي أسبوع تصبح مؤهلة للتلقيح ، وتخرج من الخلية في رحلة لذلك الغرض ، كثيرا ما تكون الأولى والأخيرة بالنسبة لها . ويرافق الملكة في هذه الرحلة التي تستغرق ما بين خمس دقائق ونصف ساعة جميع ذكور الخلية . ويتم التلقيح في الهواء الطلق ولا يحظى به من بين مئات الذكور الذين يرافقونها الا ذكر واحد . وبعد التلقيح بثلاثة أيام تقريبا تبدأ الملكة بوضع البيض ، وتستمر في ذلك لفترة قد تصل الى أربع سنوات أو أكثر .

أما الفئة الثانية ، التي تسكن القفير فهي فئة ذكور النحل . ويختلف الذكر عن

قفير كونته خلية نحل على غصن شجرة .



احدى العاملات

ذكر النحل

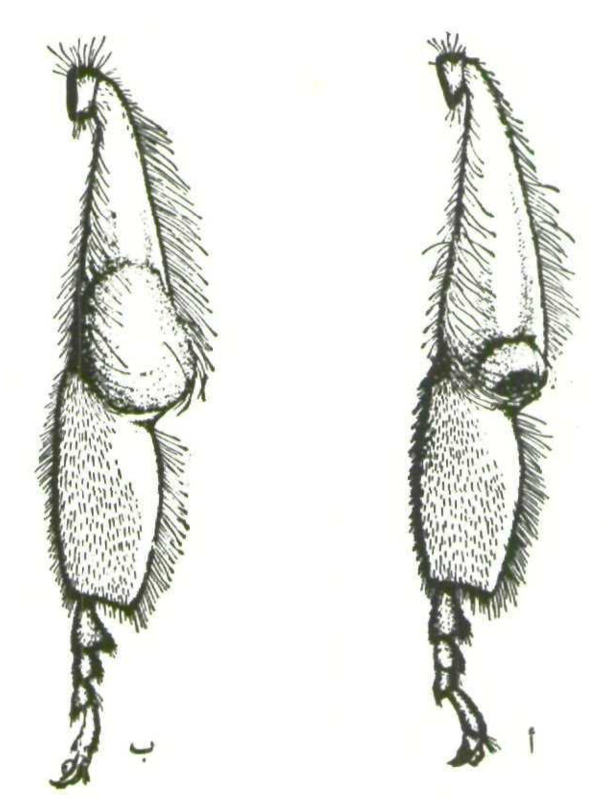
ملكة النحل

الملكة أو العاملة فهو أضخم من كل منهما ، الا أنه أقصر من الملكة وأطول من العاملة وهو على النقيض منهما غير مزود بابرة للّسع . ويستغرق نمو الذكر مدة أربعة وعشرين يوما حتى يتكامل . ويبلغ معدل عمر الذكر شهرين تقريبا . وهو على ضخامته قلما يقوم بأي عمل نافع . الا اصدار أزيز يوحي بالشراسة ، وتلقيح الملكة ، وذلك عمل يقوم به ذكر واحد فقط . وهو يحتاج الى من يطعمه ، لأنه لا يستطيع جمع اللقاح أو الرحيق ولو ترك وسط بستان مليء بالأزهار ! ولذا فانه يموت جوعا حالما يطرد خارج القفير . وهو أبعد ما يكون عن الاهتمام بالأناث من النحل .

أمّا الفئة الثالثة ، من سكان القفير فهي فئة الأناث ، وتعرف بالعاملات . وتختلف العاملة عن الذكر وعن الملكة بأنها أصغر منهما حجما . غير أنها تمثل أغلبية سكان القفير ، اذ أن عدد العاملات يتراوح ما بين عشرة آلاف وستين ألف عاملة في حين لا يزيد عدد الذكور على بضع مئات .

وتأتي العاملة من بيضة ملقحة تضعها الملكة وتستغرق فترة ثلاثة أسابيع حتى يتكامل نموها . وقد تعيش العاملة فترة تتراوح بين ثلاثة أشهر وستة أشهر ، ولكنها قد لا تعيش في موسم جمع الرحيق واللقاح أطول من خمسة أسابيع لما تتعرض له من اجهاد في العمل تبلى على أثره أجنحتها . والعاملات يسيطرن على الخلية ويدبرن أمورها دون أي اعتراض من الملكة أو الذكور .

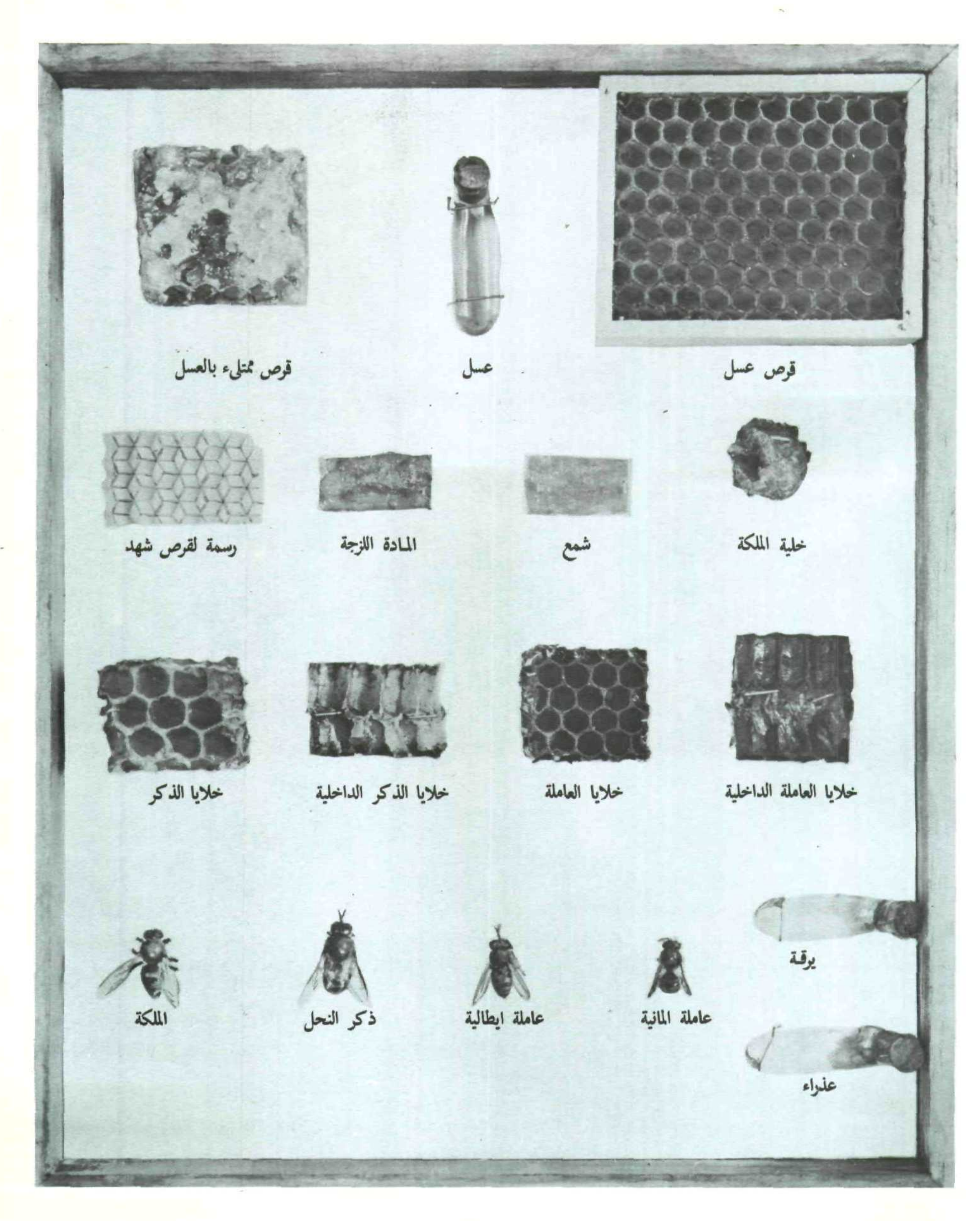
وتقضي العاملة نصف عمرها في العمل داخل القفير والنصف الآخر خارجه . ويختلف العمل داخل القفير باختلاف السن ، فغالبا ما تكون العاملة أضعف من أن تقوم بأي عمل في أول أطوار حياتها ، لذلك تأخذ لنفسها قسطا من الراحة قد يبلغ نصف يوم . وبعد ذلك تبدأ بالتجول بين عيون أقراص الشمع بحثا عن العسل ، حتى اذا ما وجدت شيئا منه دخلت العين وتناولت حاجتها منه . وهي تقضي الأيام الثلاثة الأولى في تنظيف عيون أقراص الحضانة وصقلها واعدادها لتضع الملكة فيها بيضها . وتقضي بقية الأيام التي تمضيها داخل الخلية في اطعام اليرقات من خبز النحل المصنوع من العسل ولقاح الأزهار ، وفي تنظيف الخلية والعناية بالملكة واستلام اللقاح والرحيق وتخزينه وفرز الشمع وصنع أقراصه .



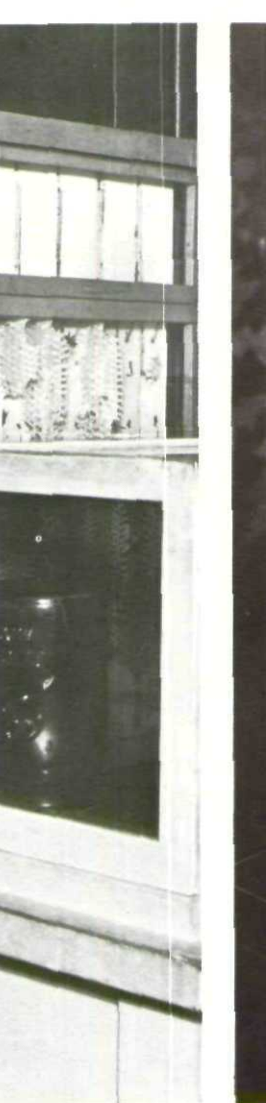
رسم ايضاحي للأرجل الخلفية اليسرى لعاملات النحل حيث تبدو السليلة فارغة في الشكل « أ » وملآنة برحيق الأزهار في الشكل « ب » .



خلية نحل



تبين هذه الصورة مراحل حياة النحلة وأدوار عملها في انتاج العسل .







أحد قفائر النحل التقليدية القديمة .

جانب من قفائر النحل الحديثة

أمّا النصف الثاني من عمرها فانها تقضيه خارج الخلية في جمع لقاح الأزهار ورحيقها والماء والمواد الصمغية التي تستعمل في تقوية أقراص الشمع وسد شقوقها .

ويمتاز العمل داخل خلية النحل بروح التعاون المتفاني والنظام الذي لا يعرف المحاباة . فكل عضو من سكان الخلية يعرف واجباته بقدر ما يعرف حقوقه ، وكل منهم يخدم نفسه عن طريق خدمة مجتمع الخلية ، حتى اذا ما تضاربت مصلحة الخلية مع مصلحته الخاصة ضحى بمصلحته دونما تردد . وأكرم عضو عند النحل أنفعهم للخلية . لذا نرى بأن السلطة توكل الى العاملات اللاتي يبلغن من العمر أسبوعين الى ثلاثة أسابيع ، واللاتي يكن في أوج النشاط والمقدرة الجسمانية . فهذه الفئة هي التي تقرر عدد العاملات والذكور الذي يجب أن يكون موجودا في الخلية . ولذلك فهي تصنع حجمين من عيون الحضانة ، وعلى الملكة أن تضع بيضا غير ملقح في العين الكبيرة وبيضا ملقحا في العين الصغيرة . وبالاضافة الى ذلك تقوم العاملات بالدفاع عن الخلية ضد الأعداء وبالهجوم على من يهدد سلامتها أو ينوي بها شرا .

وتقوم العاملات ، بعد أن تضع الملكة بيضها في العيون المناسبة ، بالعناية باليرقات ، كما يؤمّن الغذاء للذكور ما دامت هنالك حاجة اليهم ، كأن تكون الملكة غير ملقحة بعد ، أو أن تكون العاملات في سبيل استبدال الملكة بأخرى . وعندما تنتهي مهمة الذكور تتوقف العاملات عن تغذية اليرقات ويلقين بها خارج الخلية ، فتموت جوعا . وتكون العاملات أكثر حرصا على تنفيذ مثل هذا القرار عندما تقل الأزهار في البساتين أو عندما تكون كمية العسل المخزونة في الخلية محدودة وقليلة .

وهي تطبق ذلك على بنات جنسها أيضا ، في حالة تواني أية عاملة أو وهنها بحيث تصبح غير قادرة على القيام بواجباتها تجاه الخلية ، فيصدر قرار مبرم باخراجها من القفير . وان عادت اليه يوكل أمرها الى نحلة قوية البنية تحملها عدة مئات من الأمتار بعيدا عن الخلية ثم تلقي بها

الى الأرض من عل حيث تلقى مصيرها المحتوم . واذا كان هذا القرار يشمل الذكور والعاملات فانه يشمل الملكة أيضا ، ولكن مع بعض الاختلاف في سرعة التنفيذ . فمنذ أن تخرج الملكة من شرنقتها ، والى أن تتلقح وتصبح قادرة على وضع البيض يكون لزاما عليها أن تطعم نفسها بنفسها ، أما عندما تبدأ بوضع البيض فان العاملات يحطنها بكل رعاية وعناية ويقدمن لها الطعام . ولكن اذا لوحظ انها غير قادرة على وضع الكمية الكافية من البيض أو أن أعراض الشيخوخة والوهن بدأت تبدو عليها تتخذ العاملات قرارا بالتخلص منها ، بيد أنها تترك لتعمل ضمن طاقتها وتعطى من العناية ما تستحق ، وفي الوقت ذاته تعد العدة لتربية ملكة جديدة من البيض الموجود في أقراص الحضانة . وعندما تكبر الملكة الجديدة وتبدأ بوضع البيض ، ينفذ القرار الذي اتخذ بشأن الملكة القديمة من قبل .

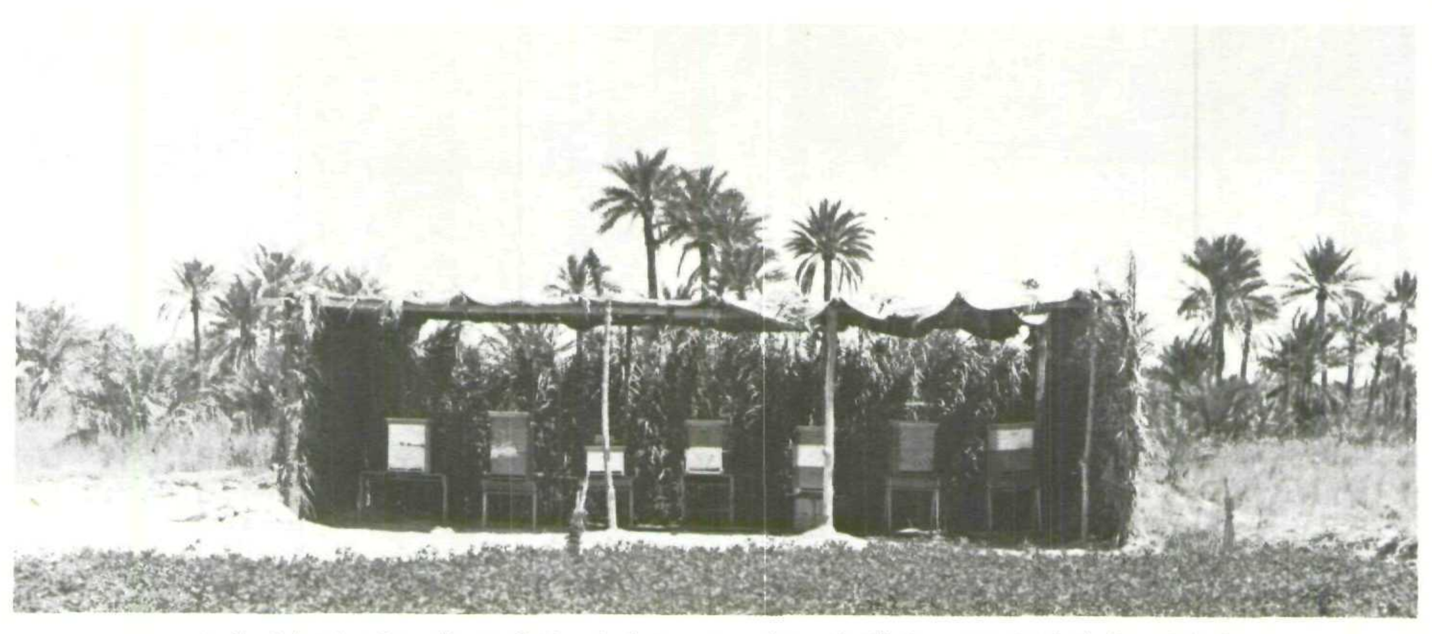
أمّا من صلح من سكان القفير فله كل ما يحتاجه من غذاء ، بل ويتمتع بحياة جماعية هي أشبه ما تكون بحياة الانسان الاجتماعية وان لم تكن تفضلها من حيث التعاون والنظام .

ولو بدأنا بصغار النحل لوجدنا أنها كالأطفال دائمة اللهو واللعب على بعد أمتار من القفير . ويلاحظ أن صغار النحل تكون أكثر حركة في لهوها ولعبها بعد أن يحبسها المطر أو البرد أو الحرارة الشديدة عن الخروج لفترة من الوقت .

والنحل يتقن الرقص اتقانـا جيدا ، ولهذه الرقصات ايقاع يعرفه جميع سكان القفير . وهناك رقصتان يشتهر بهما النحل تكون الأولى على شكل دائرة ، وتؤديها النحلة بعد رجوعها من الحقل محملة برحيق الأزهار ، فتفرغ ما جمعت منه ثم تتهادى راقصة بخطوات قصيرة وسريعة ، فتدور دورة أو دورتين حول احدى عيون قرص الشمع ، ثم تدور نصف دورة في اتجاه معين ، ومثلها في الاتجاه المعاكس ، وهكذا . وتدوم الرقصة ما بين ربع دقيقة ودقيقة كاملة . وقد تعيد النحلة الرقصة نفسها ثلاث مرات أو أكثر ، ولكن في أماكن أخرى من قرص الشمع ، ثم تغادر الخلية في طلب حمل آخر من الرحيق . أما الرقصة الثانية فتؤديها النحلة بعد عودتها من الحقل محملة باللقاح . وفي هذه الرقصة لا تنتظر النحلة أن تتخلص من حملها ، بل تجري فوق قرص الشمع لتلفت اليها الأنظار وتجمع حولها الرفيقات ، ثم تبدأ الرقص بهز الجزء الخلفي من

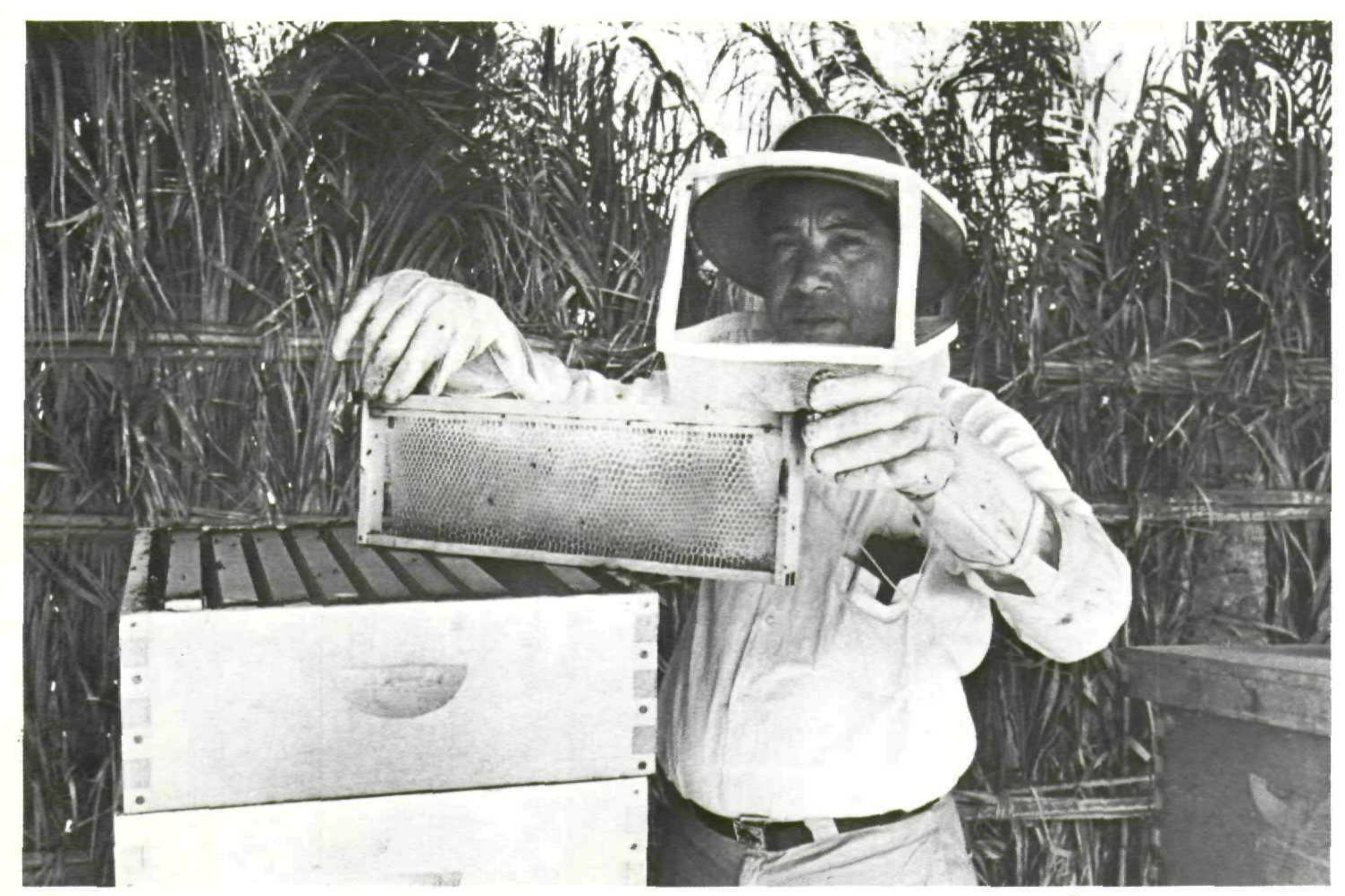


طرد من طرود النحل وقد لجأ الى غصن هذه الشجرة لحماية ملكتها .



يولي المزارعون في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية تربية النحل عناية كبيرة وذلك بغية زيادة انتاج العسل .

مزارع ومرشد زراعي يعملان جنبا الى جنب في العناية بخلايا النحل في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، ويبدوان في الصورة أثناء قيامهما بعملية التدخين لتهدئة النحل ، قبل اخراج أقراص الشهد .



مزارع عربي يتفحص بعض أقراص الشهد الشمعية .

تصوير : المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي وعلي محمد خليفة

جسمها بسرعة ، ثم تدور نصف دورة لتعود من حيث بدأت ، ولكن ليس على نفس الخط الدائري وانما بخط مستقيم على قطر الدائرة ، ثم تبدأ بتكملة الدورة لتعود من حيث بدأت الرقص . وبعد ذلك تفرغ حملها وتعود الى الحقل من جديد . وليس رقص النحل مضيعة للوقت ، فقد لوحظ أن النحلة تهدي رفيقاتها أثناء الرقص الى مصادر غنية بالرحيق أو اللقاح في أماكن لم تكن معروفة من قبل ، كما تدل طبيعة الرقصة وحركاتها واتجاهاتها على مكان وجود الغذاء واتجاهه بالنسبة للخلية وبعده عنها ، لذلك لا تكاد الرقصة تنتهي حتى تسارع بقية العاملات الى ورود ذلك المكان لترجع هي الأخرى بنصيبها من رحيقه أو لقاحه .

أما عندما تأتي نحلة بغذاء معتاد فانها لا ترقص ، بل تأخذ لنفسها بعض الراحة وتنفرد في مكان ما لفترة نصف ساعة تقريبا ، ثم تفرغ حملها في احدى العيون وتعود الى عملها في الحقل ثانية . غير أنه اذا كانت الخلية بحاجة الى الغذاء وكان الغذاء متوفرا في الحقل ، فان النحلة لا تضيع الوقت في طلب الراحة أو حتى في البحث عن عين فارغة لتضع فيها حملها ، وانما تعطي الحمل الى رفيقاتها العاملات داخل الخلية ليتدبرن أمره ، بينما تعود هي الى عملها .

وقد استطاع النحل ، بما وهبه الله من قدرة ، أن يتعرف على أمور يصعب على الانسان أن يتوصل اليها بدون الآلة ، فاذا أخذنا الرحيق الذي يجمعه النحل من الأزهار نجد بأنه يحتاج الى تصنيع وتجفيف قبل أن يصبح عسلا صالحا للأكل أو الخزن لمدة طويلة . فالرحيق يحتوي على نسبة عالية من الماء قد تصل الى سبعين في المائة ، والمعروف أن العسل اذا احتوى على الماء بنسبة تزيد على ١٧ أو ١٨ في المائة فسد وأصبح حامضا وغير صالح للأكل . لذلك يتعاون سكان القفير جميعهم على تبخير الماء من الرحيق بأن يقسموا أنفسهم الى قسمين ، قسم يقف على احدى جهتي مدخل الخلية ويبدأ بتحريك أجنحته بسرعة موجدا تيارا هوائيا يدخل الى داخل الخلية ، والقسم الآخر يقف في الجهة الثانية من المدخل ويحرك أجنحته بشكل ينتج عنه تيار هوائي معاكس يحمل الهواء الذي يكون قد تشبع بالبخار الى الخارج . وبذلك تبدأ نسبة الماء في الرحيق بالانخفاض الى أن تصل الى النسبة المطلوبة . والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو كيف يعرف النحل أن نسبة الماء في الرحيق قد وصلت الى النسبة المطلوبة ؟ والاجابة عنه أن ذلك في علم الله جل شأنه .

بيد أن حياة النحل وتصرفاته ليست دائما مضرب المثل الصالح . فالنحل عصبي المزاج سريع الغضب ، ويكون أكثر استعدادا للاثارة منه في أي وقت آخر في الأيام الباردة ، أو بعد هطول الأمطار ، أو في المساء ، أو اذا كان في مكان مكشوف ، أو اذا اعتدي عليه ، أو أخذ عسله . وقد ينزعج النحل ويثور بسبب اهتزاز القفير أو فتحه بخشونة أو ما شابه ذلك .

ولا يخلو مجتمع النحل من الرعاع الذين ينساقون الى التصرف دون تروٍّ مما يعود بالضرر الى سكان القفير ، بل هنالك في مجتمع النحل من أعمال القرصنة والسلب والنهب بين سكان قفير وآخر ما هو أسوأ من أعمال الرعاع بكثير ■

الصحة النفسية والعقلية

أصبحت العناية بصحة الأفراد النفسية والعقلية وبنائها بناء سليما ، موضع اهتمام القادة والمسئولين والمشتغلين بعلم النفس ، وحتى الأفراد على مختلف مستوياتهم . فالتعقدات المنوطة بالمجتمع الحديث ، والكفاح في سبيل العيش والانتاج أصبحت تتطلب ولا شك مزيدا من الرعاية في مجال الخدمات النفسية والعقلية التي تهييء للفرد حياة مستقرة يشعر فيها بالسعادة والرضا والاقبال برغبة على العمل والانتاج .

وقد سئل « فرويد — Freud » عن تعريفه لسلامة العقل والنفس فأجاب « انها القدرة على الحب والعمل » . الا أن علماء التحليل النفسي في الفترة التي تلت ذلك ، والتي تسمى بعصر الطب النفساني الحديث ، شددوا كثيرا على عنصر « الحب » في تطور شخصية الفرد ، ولم يعيروا عنصر « العمل » اهتماما يذكر .

أما في العشرين سنة الماضية فقد ظهر علم جديد في حقل الصحة النفسية أطلق عليه اسم « الطب العقلي الاجتماعي » ، نتيجة لانتقال التوكيد على العناية بصحة الفرد النفسية وحدها الى الاهتمام بالصحة النفسية للمجموعة . وهذا العلم يعنى بصحة المجتمع العقلية والنفسية ويجنب أفراده كل ما يترتب على اضطراب نفسياتهم من تضاؤل في الاقبال على الانتاج . ثم توسع مجال الصحة النفسية والعقلية توسعا ملحوظا فشمل معظم مجالات الحياة الاجتماعية الحديثة ، واستأثر باهتمام رجال السياسة والقضاء ورجال التربية والصناعة . ولم تقتصر العناية بصحة الأفراد النفسية والعقلية على المؤسسات والأطباء النفسيين المختصين فحسب وانما أصبح كل فرد ضمن نطاق عمله يسعى للاهتمام بصحته وصحة الآخرين النفسية . فالمهندس يشارك بما في وسعه في توفير الظروف السكنية الملائمة للآخرين ، والمخترع يبذل قصارى جهده في تطوير منتجاته ليجد المستهلك في اقتنائها واستعمالها راحة وسعادة ، والتاجر يحاول أن يزود متجره بما يرضي الناس على مختلف مستوياتهم وأذواقهم .

لقد ازداد اهتمام الدوائر الصناعية في كثير من البلدان المتقدمة ، خلال العشرين سنة الماضية ، بالعناية بالصحة النفسية للعاملين فيها وذلك بتطوير ظروف العمل وأساليبه ، وتحسين أحوالهم المادية والاجتماعية ، واصدار النشرات الموجهة التي تدور حول الصحة النفسية وأثرها في الحياة الصناعية وقد أتى هذا الاهتمام نتيجة للخسائر التي تتكبدها المؤسسات والأفراد على حد سواء .

فقد جاء في تقرير صدر عن مؤسسة « منجر فونديشن — Meninger Foundation » الأمريكية بأن الاصابات الصناعية في الولايات المتحدة الأمريكية ينجم عنها نحو خمسة عشر ألف حالة وفاة ، وعشرين مليون اصابة مقعدة سنويا ، مما يؤدي الى أضرار مادية تقدر بثلاثة بلايين دولار سنويا ، وفي نظر خبراء هذه المؤسسة أن حوالي ثمانين الى تسعين في المائة من هذه الاصابات الصناعية كان للعوامل النفسية أثر في حدوثها . وجاء في تقرير آخر أن الخسارة المادية الناجمة عن تغيب الموظفين عن العمل تقدر بعشرة بلايين دولار سنويا وان خمسين الى ثمانين في المائة من أسباب التغيب ترجع الى عوامل تتعلق بالصحة النفسية والعقلية . كما أشار التقرير الى أن هنالك أكثر من ثلاثين في المائة من أفراد القوة العاملة في الصناعة يعانون اضطرابات انفعالية بصورة دائمة ، بالاضافة الى أن عشرة في المائة يفتقرون الى القدرة على الانتاج في العمل بسبب الأمراض النفسية والعقلية . كما تتراوح نسبة الذين يعفون من العمل لأسباب تتعلق بعدم مقدرتهم

في المجال الصناعي

بقلم الدكتور اندراوس نقولا

على التكيف الاجتماعي بين ستين وثمانين في المائة . أما نسبة الأشخاص الذين تنهى خدماتهم لأسباب تتعلق بعدم الكفاية الفنية فتتراوح بين عشرين وأربعين في المائة .

ولمواجهة مثل هذه الخسائر الناجمة عن العوامل السالفة الذكر ، لجأ بعض أصحاب المؤسسات الصناعية الى استبدال الموظفين بصورة متكررة وبذل الكثير في تدريبهم وتأهيلهم لتحقيق كفاية انتاجية ملائمة مما يعرض مؤسساتهم الى تكبد تكاليف باهظة . ولعل ما يزيد من خسائر المؤسسات الصناعية العجز في رسم سياسة سديدة ووضع أنظمة يمكن تطبيقها ، وخاصة اذا كان الأفراد المكلفون بذلك هم أنفسهم يعانون من اضطرابات نفسية وعقلية ..

ولعل رئيس العمل الذي لا يعير مشاكل موظفيه وظروفهم الشخصية اهتماما يذكر ، يكون سببا لحدوث اضطرابات انفعالية لدى موظفيه ، مما يحدث فجوة عاطفية بينه وبين مرؤوسيه يؤدي الى فتور عزيمتهم وتردي انتاجهم .

والاضطرابات الانفعالية بصورة عامة تجعل من أصحابها أفرادا سلبيين سريعي الاثارة والانفعال كثيري الشكوى ، وهي تنعكس في العمل على شكل صعوبات ومشاكل مستمرة تؤدي الى ضعف الانتاج لما تخلقه من توتر بين الموظفين وزملائهم ورؤسائهم ومرؤسيهم .

والموظفون الذين يفتقرون الى الصحة النفسية يصاحبهم نوع من القلق والتذمر من أي عمل يناط بهم ، مما يضطرهم الى الانتقال بصفة مستمرة من وظيفة الى أخرى ، الأمر الذي يعيق في تحقيق أهداف كانوا يعتقدون أن بامكانهم تحقيقها . وأخيرا قد تجد حالة التوتر والاضطراب النفسي التي يعانون منها متنفسالها في شكل أعراض مرضية جسمية تحد من مقدرتهم على الانتاج .

ولا شك أن المجتمع يجني من وراء ذلك أضرارا معنوية ، حيث يضم أفرادا ذوي نفوس مضطربة ، لا يقوون على القيام بأدوارهم الاجتماعية بشكل ايجابي فعال .

* * *

والآن وبعد أن استعرضنا الأضرار التي تلحق بالموظفين والمؤسسات والمجتمع نتيجة الاضطرابات الصحية النفسية والعقلية ، لا بد لنا من أن نعرف ما هو المقصود بالمرض العقلي والنفسي ، وما هو مفهوم الصحة النفسية والعقلية .

ان المرض العقلي والنفسي ، في نطاق العمل ، هو مجموعة اضطرابات انفعالية واسعة المدى تحول دون تمكن الفرد من استغلال أقصى طاقاته الانتاجية .

ومفهوم الصحة النفسية والعقلية واسع يعتمد تعريفه على وجهات نظر الأفراد الذين يتناولونه بالبحث والتعريف . فقد يصفه رجال الأعمال والصناعة بشكل يختلف الى حد ما عما يصفه به الأطباء والعلماء النفسيون . فرجال الأعمال يرون الصحة العقلية والنفسية ، بأنها القدرة على العمل والانتاج بشكل يصل به الفرد الى أقصى مستواه الانتاجي دون أن يبدو عليه أي أثر للتوتر ، وعلى المواظبة على العمل بطريقة ملائمة ، وانجازه له بصورة جيدة ، ثم القدرة على التنافس مع الزملاء بصورة ايجابية ، وشعور بالرضى ، وكذلك القدرة على اقامة علاقات طيبة مع الزملاء والرؤساء والمرؤوسين .

أما الأطباء والعلماء النفسيون فينظرون الى الصحة العقلية والنفسية نظرة تشمل حياة الفرد بأكملها . وقد أجرت مؤسسة « مننجر فونديشن » بحثا استفتت فيه مجموعة من مشاهير أطباء وعلماء النفس عن مفهوم الصحة النفسية والعقلية معتمدين في ذلك على معرفتهم الشخصية لعدد كبير من الأشخاص الذين يعتقد هؤلاء الأطباء والعلماء بأنهم يتمتعون بالصحة النفسية والعقلية ، فأجمع الرأي على أن الأفراد الأصحاء يتحلون بالصفات التالية :

- لدى الأفراد الأصحاء نفسيا منابع متعددة لادخال البهجة والسرور الى نفوسهم ، فهم يجنون المتعة بطرق شتى ومن أشياء متنوعة ، فاذا ما فقدوا مصدرا منها استطاعوا الاستمتاع في مجالات أخرى كثيرة . وبعبارة أخرى ان الفرق بين الأفراد الذين تختلف لديهم مصادر البهجة والذين لا يمتلكون الا عددا محدودا منها ، هو الفرق بين انسان يعيش حياته بكل حيويتها ويستمتع بها ، وآخر يعيش لأن الحياة فرضت عليه .
- يتمتع الأصحاء نفسيا وعقليا بمرونة يستطيعون معها معالجة مشاكل الحياة معالجة سليمة ، أو افساح المجال لها لتمر بسلام ، متخذين من خبراتهم الشخصية مرشدا لمعالجتها من وجوه متعددة .
- يعرف الأصحاء نفسيا وعقليا حدود امكاناتهم فلا يبالغون في الاشادة بمزاياهم ولا ينقصون من قدر مواهبهم ومهاراتهم ، ولا يحاولون اخفاء نقاط ضعفهم وراء ستار واه من الغرور .
- يتعامل الأصحاء عقليا ونفسيا مع الآخرين كأفراد لكل منهم طبيعته ومشاعره وآراؤه واتجاهاته الخاصة ، ولا سيما اذا كان الآخرون أشخاصا دون مستواهم الثقافي والاجتماعي .
- يتميز الأصحاء نفسيا وعقليا بالنشاط والانتاج ، فهم يستغلون طاقاتهم الحيوية ومهاراتهم أحسن استغلال .

وصفوة القول ان المرء السليم عقليا ونفسيا هو الشخص الذي يتمتع بصحة نفسية في حياته العامة وبالقدرة على مواجهة مشاكلها برحابة صدر ، والاقبال على حلها بدلا من الرزوح تحت وطأتها ■

جبل طارق والعرب..

بقلم الاستاذ عبد العزيز الرفاعي



صورة جوية لجبل طارق تشمخ قمته على السحب .

«.. وجبل طارق هذا كريم التربة، عظيم المنفعة، باسق مع أعنان السماء، يكاد في إمامته يصل الى الجوزاء، كلما استودع في أرضه نما وزكا وفضل، وجل وأثمر ...»

ابن صاحب الصلاة

منذ الفتح الاسلامي للأندلس ، اقترن اسم هذا الجبل باسم فاتحه القائد المسلم طارق بن زياد ، مولى موسى بن نصير أحد قادة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .

وقد ظل الجبل محتفظا بهذا الاسم الى الوقت الحاضر ، فهو (Gibaltar) وعند الاسبان (Gibraltar) بزيادة r بعد b (١) .

أما في الأزمنة القديمة فقد تداولته عدة أسماء(١) ، بيد أنه كان قبيل الفتح الاسلامي يعرف بجبل كالبي (Mons Calpe) ويقول الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه « الآثار الأندلسية الباقية » ان الجبل أو الصخرة تربض في البحر على شكل أسد عظيم ، رأسه نحو البحر .. وهذا وصف شاهد عيان .

ولقد حاول الخليفة الموحدي ، عبد المؤمن ابن علي أن يطلق اسما جديدا على الجبل ، أو المدينة التي ابتناها به ، فأمر بتسميته « بجبل الفتح » أو « مدينة الفتح » (سنة ٥٥٥ هـ الى ١١٦٠م) ، الا أن اسم جبل طارق ظل غالبا ، وان اقترن اسم « جبل الفتح » في المؤلفات العربية التالية للعهد الموحدي بشيء من الذيوع .

وقد شمل اسم جبل طارق ، المضيق الذي تقع الصخرة على شواطئه الشمالية ، فأطلق عليه أيضا اسم مضيق جبل طارق . وقد كان العرب يسمونه « الزقاق » أو « المجاز » أو « معبرة هرقل » أو « معبرة الأسد » ، ولعل لما ذكره الأستاذ عنان عن شكل الصخرة علاقة بهذه التسمية الأخيرة . وشكل الأسد لا يبعد كثيرا عن شكل الكلب ، فهل هناك علاقة لغوية بين كلب وكالبي (Calpe) ؟

اما تسميته بمعبرة هرقل ، أو هركول (Hercule) فيقول صاحب منجد الآداب والعلوم ، ان الأقدمين دعوا باسمه عواميد هركول ، وهو مضيق جبل طارق ، لاعتبارهم أن المرور منه الى الأطلس لا يقوى عليه الا الجبابرة .. أي أن أعمدة هرقل ، التي كانت قائمة في طرفي المضيق على شاطيء جبل طارق من الجهة الشمالية ، وعلى شاطيء « سبته » أو « أبيلا » من الجهة الجنوبية الأفريقية كانت تعزى لعظمتها وجبروتها الى هرقل ، أحد أبطال « الميثولوجيا » الأغريقية .

على ان هذا لا يعدو عن كونه مجرد استنتاج .. وكما يطلق اسم جبل طارق على المدينة وعلى المضيق ، فانه يطلق أيضا على الميناء القائم غربي الصخرة ، وعلى الخليج الذي يقوم عليه الميناء .

وقد ذكر بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى في سورة الكهف **« واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين »** انه مضيق طنجة ، أي مضيق جبل طارق .. الا أنه ليس أرجح الأقوال ، اذ المشهور أن المقصود هو ملتقى خليج السويس بخليج العقبة ، وليس بحر الروم بالبحر المحيط .. وان كان مضيق جبل طارق يعتبر بحق مجمع بحرين ، وقد عناه الشاعر أبو عمرو بن حربون ، حينما قال :

أنظر الى مجمع البحرين كيف حوى
من الفضائل ما لم يحوه بلد !
لاقى الكليم على الشاطيء به خضرا
وفيه لاقى أخاه السيد السيد

على ان جبل طارق ليس أول أرض أندلسية وطأتها أقدام الفاتحين العرب ، كما قد يتبادر الى الذهن ، اذ كانت التجربة الأولى لهم في جزيرة طريف ، وهذا الاسم هو أيضا معزو الى صاحب المحاولة الأولى نفسه « طريف ابن مالك » ، وهو أيضا من رجال البربر ، قام بمحاولته سنة ٩١ هـ (٧١٠م) على رأس حملة اسلامية صغيرة جهزه بها موسى بن نصير ، بيد أنها كانت مجرد محاولة ، وقد احتفظت الجزيرة الأندلسية باسم صاحب المحاولة .

أما المحاولة الثانية فقد كانت فتحا حقيقيا للبلاد الأندلسية ، فلا غرو ان ذهب طارق بشهرتها ، فقد كان من ذوي العزم والتصميم ، خاصة ان صدقت قصة احراقه سفن العودة ، ولا أرى مبررا للتشكيك فيها ، وكان فتحه لها في أواخر ربيع الآخر سنة ٩٢هـ (٧١١م) (٢) .

والمتأمل لخريطة منطقة جبل طارق ، يلمس أن اختيار العرب جزيرة طريف أولا ، ثم جبل طارق ثانيا ، لبدء محاولاتهم في فتح الأندلس كان اختيارا طبيعيا لاقتراب هذين الموضعين من الشاطيء الأفريقي ، حتى لكأن هذين اللسانين يحاولان الاتصال بالبر الافريقي .. ولا يستبعد احتمال كونهما كانا متصلين به في غابر الأزمان .

وقد كان هذان الموضعان دائما جسرا للفاتحين عبر الأزمنة . وروى شمس الدين أبو عبد الله محمد أبي طالب الانصاري الدمشقي المعروف « بشيخ الربوة » في كتابه « تحفة الدهر في عجائب البر والبحر » : ان المؤرخين زعموا أن الاسكندر حفر الزقاق وأجراه من المحيط ليغرق به أهل البلاد والأقاليم . وزعم آخرون انه حفره ليكون فارزا بين أهل الأندلس والبربر ، وأهل بر العدوة

(١) دائرة المعارف الاسلامية . (٢) فجر الأندلس للدكتور حسين يونس .



منظر آخر لقمة جبل طارق وقد ظهر الى يسارها أحد مستجمعات المياه .

والاسبان ، ليمنعهم من غارات بعضهم على بعض . وزعم آخرون انه لم يحفره ولكنه أراد أن يعمر عليه جسرا من قناطر ففعل ذلك ، ثم ان البحر طما وزاد ، وغطاها .. وانه الى الآن ينظر الراكب فيه الى القناطر تحت الأرض عند سكون الريح ، وهدوء الموج ، ونقص مده وجزره . » ثم وصف المؤلف عرض الزقاق ، فقال انه ثمانية عشر ميلا (الآن) وان الجسر الذي بناه الاسكندر في أضيق مكان أمكنه البناء هو أربعة آلاف خطوة وذلك طول ميل واحد . (٣)

ثم وصف القناطر والجسور ، وان الاسكندر استعان في بنائها بفكرة المراكب المتصلة المقيدة بسلاسل .. كل ذلك في وصف شائق .

والسؤال الذي يتبادر الآن الى الذهن والذي يظل الجواب عليه غامضا هو : هل ثمة صلة بين أعمدة هرقل ، وبين الجسور والقناطر التي يحدثنا عنها « شيخ الربوة » ؟

وسواء أكان المضيق متصلا ، وأن الأيدي البشرية هي التي حفرته ليتصل البحران فيكون في ذلك نفع كبير للملاحة البحرية ، كما هو عليه الحال في قناة السويس ، أو أن البحرين كانا منفصلين ، وان الجهود البشرية كانت تحاول وصلهما بعمل قناطر وجسور تحقق الهدفين معا : اتصال البحرين واتصال البرين معا ، مثل المحاولات التي تبذل الآن لوصل ساحلي بحر المانش بين فرنسا وبريطانيا . سواء أكان هذا أو ذاك ، فاننا نكتفي بهذه الدلالة على أهمية المنطقة وحيويتها في وصل قارتي أوروبا بافريقيا ، وفي وصل البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم) بالمحيط الأطلسي (بحر الظلمات) .

ولا شك ان مضيق جبل طارق يعتبر أضيق نقطة تلاقي بين أوروبا وأفريقيا ، ولا يزيد عرضه عند أضيق نقطة عن تسعة أميال بينما يبلغ عرضه في أكثر نقطة اتساعا أربعة وعشرين ميلا . وبالامكان رؤية الصخرة من شاطيء سبتة الأفريقي . وان كانت تبدو منه كالغمام القاتم(٤) .

واذا كان شيخ الربوة قد روى أن الاسكندر حفر الزقاق ، أو عمر عليه جسورا ، مما سلفت الاشارة اليه ، فان لصاحب معجم البلدان رواية أخرى ، فهو يحدثنا في مادة (بحار — بحر المغرب) في الجزء الأول من كتابه بما يأتي :

« .. وقرأت في غير كتاب من أخبار مصر والمغرب ، انه ملك ، بعد هلاك الفراعنة ، ملوك من بني دلوكه ، منهم دركون بن قلوطي وزمطرة ، وكانا من ذوي الرأي والكيد والقوة ، فأراد الروم مغالبتهما على أرضهما ، وانتزاع الملك منهما ، فاحتالا بأن فتقا البحر المحيط من المغرب ، وهو بحر الظلمات ، فغلب على كثير من البلدان العامرة ، وامتد الى الشام وبلاد الروم ، وصار حاجزا بين

(٣) كان رصيف الاسكندر يمتد من طنجة الى ساحل الأندلس ، وقد تهدم قبل الفتح الاسلامي بمائتي سنة (التازي في التعليق على المن بالامامة) .
(٤) الآثار الأندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان .

بلاد الروم ، وبلاد مصر » .

وتجرنا هذه الأساطير والحكايات التي تروى عن مضيق جبل طارق ، الى أسطورة الطلّسم الذي وجد عند فتح الأندلس . كما تذكرنا أيضا بما جاء في كتاب « ألف ليلة وليلة » عن جبل المغناطيس ، وبالكنوز التي وجدها طارق أو موسى بن نصير في الأندلس . وعما يروى أيضا عن قارة الاطلانطيد ، وما يحوم حولها من قصص .. ولشد ما تختلط بعض الحقائق أحيانا بالأساطير اختلاطا يقف منه العقل البشري موقف المتحير !

° ° °

يتألف جبل طارق من كلس جوراسي ويبلغ طوله ٤,٥ كيلومتر ، وعرضه ١,٢ كيلومتر ، وارتفاعه ٤٢٩ مترا . كما يبلغ تعداد سكانه حوالي ثلاثين ألفا ، وهم خليط من الاسبان والانجليز ، وبعض العرب المراكشيين. ويدخل ضمن هذا العدد ، الحامية الانجليزية التي تبلغ حوالي السبعة آلاف ، وقد استولت بريطانيا على الجبل في سنة ١٧٠٤م .

ويربط شبه جزيرة طارق بسائر ايبيريا أو باسبانيا منطقة محايدة تتألف من سهل رملي ، وتمتد بجوار الصخرة نحو سبعمائة متر ، ويبلغ عرضها نحو أربعمائة متر(٥) ، وتشكل هذه المنطقة المعبر الذي يصل عن طريقه تموين الجبل ، باحتياجاته كما يصل عن طريقه بعض العاملين في الميناء الذين يعودون في المساء الى الأرض الاسبانية .

ولقد ظلت سيطرة المسلمين على الجبل ممتدة لما يزيد على السبعمائة عام ، فقد خسروه بصفة نهائية سنة ١٤٩٢م ، حيث استولى عليه الاسبان ، بعد عدة محاولات وحملات .

سبق ان أشرت الى أن الخليفة الموحـــدي عبد المؤمن بن علي أطلق اسما جديدا على الجبل هو « جبل الفتح » وان هذا الاسم حظي ببعض الذيوع في العهد الموحدي وبعده .

لقد قام هذا الخليفة بدور عمراني هام ، بالنسبة لتاريخ جبل طارق في عهده الاسلامي ، ولعل خير من أرخ لهذه الفترة من تاريخ الجبل « عبد الملك بن صاحب الصـــلاة » (٥٩٤هـ ١١٩٨م) في كتابه « تاريخ المن بالامامة » ، الذي حققه أخيرا الأستاذ « عبد الهادي التازي » وزوده بكثير من الهوامش القيمة المفيدة .

ولقد أتيح لمؤلف هذا الكتاب ، أن يعاصر عمران الجبل في عهد الموحدين ، ووصف ذلك العمران وصفا دقيقا مسهبا ، تضافرت فيـــه الرواية والمشاهدة معا . ويذكر في ذلك أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ، أمر بانشاء مدينة كبرى في جبل طارق ، لتكون قاعدة له ولجنده للعبور الى الأندلس ، وكلف ابنه أبا سعيد عثمان بالمسير من غرناطة الى جبل طارق ، واستنفر لأجل ذلك أشهر البنائين والمهندسين ، وفي مقدمتهم الحاج « يعيش المالقي » ، وهو مهندس شهير فنان اشتهر بابداعه ، والعريف « أحمد بن باسة » ، وهو يعتبر أحد كبار الخبراء في الأعمال المعمارية ، وكان الموحدون يعتمدون عليه في مشاريعهم .

يقول ابن صاحب الصلاة : « واحكم البناؤون فيه بناء القصور المشيدة والديار ، واخترعوا في أسسها طيقانا وحنايا لتعتدل بها الأرض مبنية بالحجر المنجور مما هو عجيب في الآثار !

ثم ذكر الطاحونة الهوائية التي عملها الحاج « يعيش » ، فقال :

« .. وكان الحاج « يعيش » المهندس ، مدة اقامته للبناء على ما ذكرته فيه ، قد صنع في أعلاه رحى تطحن الأقوات بالريح ، عاينها الثقات مدة البناء المذكور ، فلما رجع الى مراكش عند اكمال ما أمر بـه فسدت الرحى لعـــدم الاهتبال بها .. »

وبعد أن نجز العمران الضخم الذي أمر به الخليفة الموحدي عبد المؤمن ابن علي ، عبر البحر من سبته ليشهد ذلك العمران ويحفل بـــه ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة عام ٥٥٥هـ .

وقد كان احتفاله بانجاز هذا العمل العظيم احتفالا مشهودا تبارى فيه الشعراء والخطباء .. وكان من شعراء ذلك اليوم أبو بكر بن المنخل الشلبي ، وأبو العباس أحمد بن سعيد الأشبيلي المسمى «باللص» ، والشاعر المعروف «بالطليق» ، وأبو الحسين عبيد الله بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي ، ومحمد بن حبوس الفاسي ، وأبو عبد الله الرصافي ، وأبو جعفر بن سعيد العنسي ، وأبو العباس الجراوي(٦) .

وقد ذهب الأستاذ عبد الله عنان في كتابه القيم « الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال » في هامش الصفحة ٦٨٦ الى أن ابن صاحب الصلاة ، مؤلف كتاب « المن بالامامة » كان من شهود هذا الحفل ، وهو وهم ، فليس في كتاب « المن بالامامة » ما يدل على اشتراكه في هذا الحفل .. فقد قال بعد أن أتى على ذكر بعض قصائد الشعراء الذين ألقوا قصائدهم فيه ، ما نصه :

« حدثني الأستاذ أبو القاسم بن أبي هارون قال : كنت واحدا من جميع الوفد الذين بادروا بقصدهم ووفدهم مع أهل اشبيلية ومن كان تحت طاعة التوحيد من أهل الأندلس الى أمير المؤمنين رضي الله عنه بجبل طارق ، وأقمنا معه نحو عشرين يوما ... الخ » .

ولم يكن ابن صاحب الصلاة في حاجة الى مثل هذه الرواية لو حضر الحفل .. ولعل الوهم أتى الى أنه حضر فعلا حفلا آخر أقيم في الجبل نفسه ولكن في غير عهد الخليفة عبد المؤمن .

ولعل هذا الوهم قد أتى أيضا الى أنه كان من بين شعراء حفل الخليفة عبد المؤمن شاعر مـــن بيت صاحب الصلاة هو أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي ، وهو غير صاحبنا .

ويدل السياق الذي يصف فيه صاحب « المن بالامامة » حفل الخليفة عبد المؤمن ، على اعتماده على الرواية ، فهو يقول بعد ايراده قصيدة الشاعر المعروف « باللص » التي مطلعها :

غمّض عن الشمس واستقصر مدى زحل
وانظر الى الجبل الراسي عـــلى جبـــل

يستمر في سرد الوصف فيقول :

« قال الراوية : لما أنشد المنشد هذه القصيدة أنكر أمير المؤمنين هذا البدء في قول الشاعر « غمض عن الشمس » وقال على مسمع من الناس « غمّض .. غمّض .. » منكرا لها ، لأنه كان يحب الفأل الحسن ، لكنه أمر لـه بعشرة دنانير كما أمر لكل شاعر » .

هذا عدا عن أن ابن صاحب الصلاة يلتزم الدقة في وصفه ، فهو حينما نزل بجبل طارق على عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قال : « كنت من جملة الواردين » .

وللحفل الآخر صلة لما آل اليه الأمر بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن ، وبعد أن تولى الخلافة ابنه أبو يعقوب يوسف ، وظلت الوزارة والسلطة في يد أخيه أبي حفص . فقد خرج ابن صاحب الصلاة الى الأندلس مرافقا لمركب أبي حفص حينما عبر للقاء أخيه أبي سعيد في جبل طارق ، بقصد ازالة الخلاف الناشب حول الخلافة بعد الخليفة عبد المؤمن .

(٥) الآثار الأندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان .

(٦) ابن صاحب الصلاة ، والمعجب للمراكشي .

وقد قصد أبو حفص أن يجمع الكلمة لأخيه أبي يعقوب يوسف ، وقد احتفى أبو حفص بعودة أخيه أبي سعيد الى حظيرة الولاء ، فوزع الأعطيات ، وتقبل التهاني ، وتناقش الشعراء في التهنئة بهذه المناسبة ، ومن بينهم أبو عمرو ابن حربوك ، الذي أنشد قصيدة دالية مطلعها :

قد حصحص الحق لا ريب ولا فند
هذي الفتوح كانوا بها وعدوا

وهي التي يقول فيها :

أنظر الى مجمع البحرين كيف حوى
من الفضائل ما لم يحوه بلد

وفي هذه الرحلة شارك مؤلف كتاب « المن بالامامة » في سوق الشعراء ، فألقى أبياتا ، ولكنه لم يذكر منها شيئا ، كما انه لم يذكر شيئا عن مشاهداته في الجبل ، مكتفيا بما سبق ان أورد من وصف في مناسبة احتفال الخليفة عبد المؤمن عند بناء المدينة العظيمة في الجبل .

ويحدثنا الأستاذ « محمد عبد الله عنان » في كتابه القيم « الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ان هنالك بقايا الحصن الأندلسي أو القصر الأندلسي أو المغربي (Moorish Castle) ، وانه عبارة عن قلعة حصينة ، تقوم فوق ربوة عالية ، تقع على مقربة من الطرف الشمالي الغربي للصخرة ، ومن تحتها سراديب وعقود عربية ، وانه يدل تخطيط القلعة وحافاتها على انها قد ترجع الى عهد الموحدين ، مشيرا الى ما بناه الخليفة عبد المؤمن ، كما مرّ ذكره . ولكنه يعود فيقول أن بعض الأثريين يرى أن بناء هذه القلعة يشبه طراز التحصينات الغرناطية ، وانها قد أنشئت فيما يبدو في عصر السلطان يوسف أبي الحجاج في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، بل انه يعزو هذا الرأي الى الأستاذ « توريس بالياس » في مقال له عن جبل طارق في مجلة الأندلس . ويضيف الأستاذ عنان قائلا ، ان المرجح أن هذا البناء قد أقيم على أنقاض القصبة الأندلسية القديمة ، التي أقيمت منذ الفتح . كما يذكر بعض الآثار الأخرى كالحمامات العربية والأسوار الأندلسية ولكنه لا يجزم بأشياء يقينية معزوة الى مؤسسيها ، اذ يبدو انه لم تعد هناك نقوش أو خطوط توضح ذلك بصفة جازمة ■



منظر لصخرة جبل طارق وهي تطل على اسبانيا من الشمال .

تصوير : « وايد وورلد فوتوز »



للشاعر أحمد قنديل

أنوار ، يا أخت النّسائم رقة وهوى رقيقا
يا وردة الأغصان رفّ بها النّدى تاجا أنيقا
عيشي ربيع العمر زهرة روضه الحالي طليقا
واسترجعي البسمات في الشّفة التي حاكت عقيقا
ودعي الكلام المرّ كالطلقات ألهبت الحريقا ..
للنّاس ، دأب النّاس ما تركوا وضيعا أو عريقا
خلّ الضّفادع في الشّقوق تمت بحسرتها نقيقا !

* * *

أنوار ، يا بنت الحياة ذكت جوى فزكت عبيقا
يا آهة في الصدر أرسلت المنى حزنا عميقا
لا تحملي همّ الغروب قرارة وصدى سحيقا
ما دمت في فجر الصّبا نورا يضيء لك الطريقا

* * *

أنوار ، يا لحن المنى نسي المنى نغما ولحنا
غنّ الحياة قصيدة نطق الهوى فيها وغنّى
لا تربطي بالخيط ماضيك البعيد به استكنّا
أو تحلمي بالذكريات شجتك أنّات وحزنا !

* * *

أنوار ، صوني العين دمعا في مسابلها صبيبا
كم عشت في الليل الطويل شكاية طالت نحيبا :
يا ليل .. ماذا ضرّه لو عاش في جنبي قريبا
لو دام بالعيش الممهد أمنيات لن تخيبا
لكنه قد غاب عنّا حين ردّد : لن أغيبا
وأطال غيبته المريبة ، خلّفت شبحا مريبا
كاشارة حمراء أقفلت المرور لنا دروبا
اني وقفت على الطّريق ، ترقبا . ومدى رتيبا
ورجعت عنه غريبة مذ عاد في قلبي غريبا !

* * *

أنوار ، هذي قصة القلب الذي هزم القلوبا
بالصّبر ، بالايمان ، آلى أن يعيش وأن يؤوبا
سطّرتها للفنّ فنّا في روايته دؤوبا



تنتهي مهمة مرحل الزيت لدى وصول الز



قبل شحن الزيت الخام والمنت

التخطيط
في عمليات إنتاج الزيت

ملايين البراميل من الزيت الخام والمنتجات تحملها الناقلات يومياً من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية إلى مختلف أسواق العالم الحر. ومعظم هذا الزيت من إنتاج شركة الزيت العربية الأمريكية (ارامكو) التي تملكها أربع شركات بنسب متفاوتة، هي: شركة ستاندرد أويل (كاليفورنيا) وشركة تكساكو، وشركة ستاندرد أويل (نيوجرسي) وشركة موبيل أويل. هذه الشركات الأم تأخذ على عاتقها مهام تسويق إنتاج أرامكو من الزيت الخام ومنتجات البترول بينما تضطلع أرامكو بمهام إنتاج الزيت عن طريق تأمين الطلبات القائمة بسرعة ودقة، والتخطيط البعيد المدى للإنتاج العام حسب تقديرات الشركات الأم بحيث تواجه الزيادة المتوقعة مستقبلاً على الصعيد العالمي في الطلب على الزيت.

دور مكتب نيويورك

تقوم الشركات الأم الأربع على فترات دورية بتقديم تقديرات انفرادية عن كميات الزيت الخام والمنتجات التي تتوقع بيعها خلال فترة ثلاث سنوات . وهي تبني هذه التقديرات على ضوء دراسة الحالة الاقتصادية في الأسواق العالمية ، مع الأخذ بعين الاعتبار امكانات انتاج ارامكو الحالي والمتوقع ، ومقدار نصيبها من هذا الانتاج . ويتولى مكتب ارامكو في نيويورك دراسة تقديرات كل شركة من الشركات الأم دراسة دقيقة ووافية ، ثم يجملها في تقرير واحد على شكل ارقام تقديرية اجمالية لمعدل الانتاج اليومي خلال السنوات الثلاث المقبلة ، ويبعث به لاسلكيا الى الظهران ، المقر الرئيسي لشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) ، حيث يصل الى قسم « دراسة مشاريع استغلال الزيت » . هذا على المدى البعيد . أما على المدى القريب فيتلقى مكتب نيويورك من الشركات الأم تقديرا أكثر دقة عن كميات الزيت الخام المطلوبة لمدة سنة من تاريخه ، فيوحدها في رقم واحد ويبعث بها لاسلكيا الى الظهران حيث تصل الى ادارة « تخطيط وتنظيم توريد الزيت » .

وبالاضافة الى ذلك يتسلم مكتب نيويورك من الشركات الأم قبل ٢٠ يوما من بداية كل شهر برنامجا شهريا مفصلا عن حركة الناقلات التي ستؤم فرضة رأس تنورة البحرية ، وينقله بدوره الى المسؤولين في رأس تنورة .

ويستخدم مكتب أرامكو في نيويورك آلة حاسبة الكترونية لتخزين كل هذه المعلومات التي تتضمن ما يتوقع عمله في مجال الانتاج أو الشحن خلال الشهر والشهر الذي يليه . وتقوم هذه الآلة بنقل المعلومات الى آلتين اخريين مماثلتين ، احداهما في رأس تنورة والاخرى في الظهران حيث يجري تحليلها ، وبالتالي ارسالها الى المسؤولين لدى قسم «التخطيط وترحيل الزيت» في كل من معمل التكرير والفرضة البحرية في رأس تنورة . وجدير بالذكر أن ادارة تصنيع الزيت في نيويورك تتولى مهمة الاتصال بين أرامكو وشركات الام ومشتري الزيت .

دراسات تطوير الزيت للمستقبل

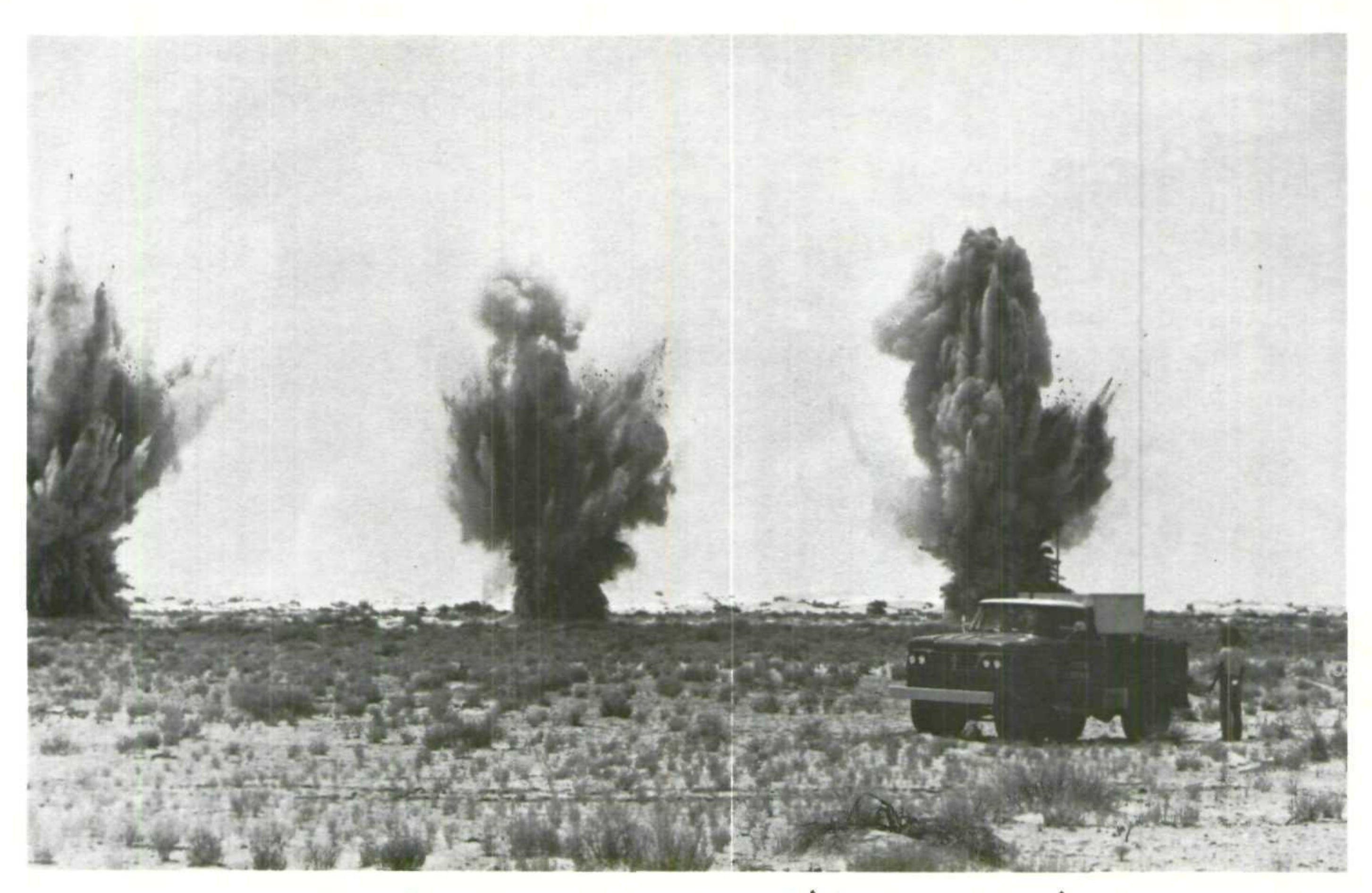
تتضمن المعلومات التي يتلقاها قسم « دراسة مشاريع استغلال الزيت » من مكتب الشركة في



خام الى ساحات الخزانات لتبدأ عندئذ مهمة مخططي الفرضة البحرية ومخططي معمل التكرير .



ترسل عينات منها الى مختبر الزيت للتأكد من أنها مطابقة للمواصفات المطلوبة .



تستمر أعمال التنقيب عن الزيت في أماكن مختلفة من منطقة الامتياز بحثا عن حقول جديدة للزيت .

نيويورك تقديرات مبدئية عن معدل الانتاج المطلوب خلال كل من السنوات الثلاث المقبلة لكل نوع من أنواع الزيت الخام الثلاثة التي تنتجها ارامكو وهي : الخام العربي الثقيل ، والمتوسط ، والخفيف . وبعد اضافة تقديرات ادارة المبيعات المحلية بالنسبة للاستهلاك المحلي ، يقوم هذا القسم بوضع البرامج التخطيطية آخذا بعين الاعتبار زيادة طاقة مرافق الانتاج المبدئية على التقديرات الانتاجية المتوقعة ، وذلك لمواجهة أي خلل طارىء أو أية ضرورة تدعو الى ايقاف بعض مرافق الانتاج للصيانة ، واحتسابا لاية زيادة غير متوقعة قد تطرأ على الطلب على الزيت في المستقبل . وبالاضافة الى ذلك يحاول المسؤولون أثناء التخطيط للسنوات الثلاث المقبلة ، أن يتأكدوا من أن القرار الذي يتخذونه اليوم يتلاءم مع القرارات التي سيتخذونها في المستقبل لخمس عشرة سنة أخرى ، خاصة فيما يتعلق بالمحافظة على مستوى الضغط في المكامن .

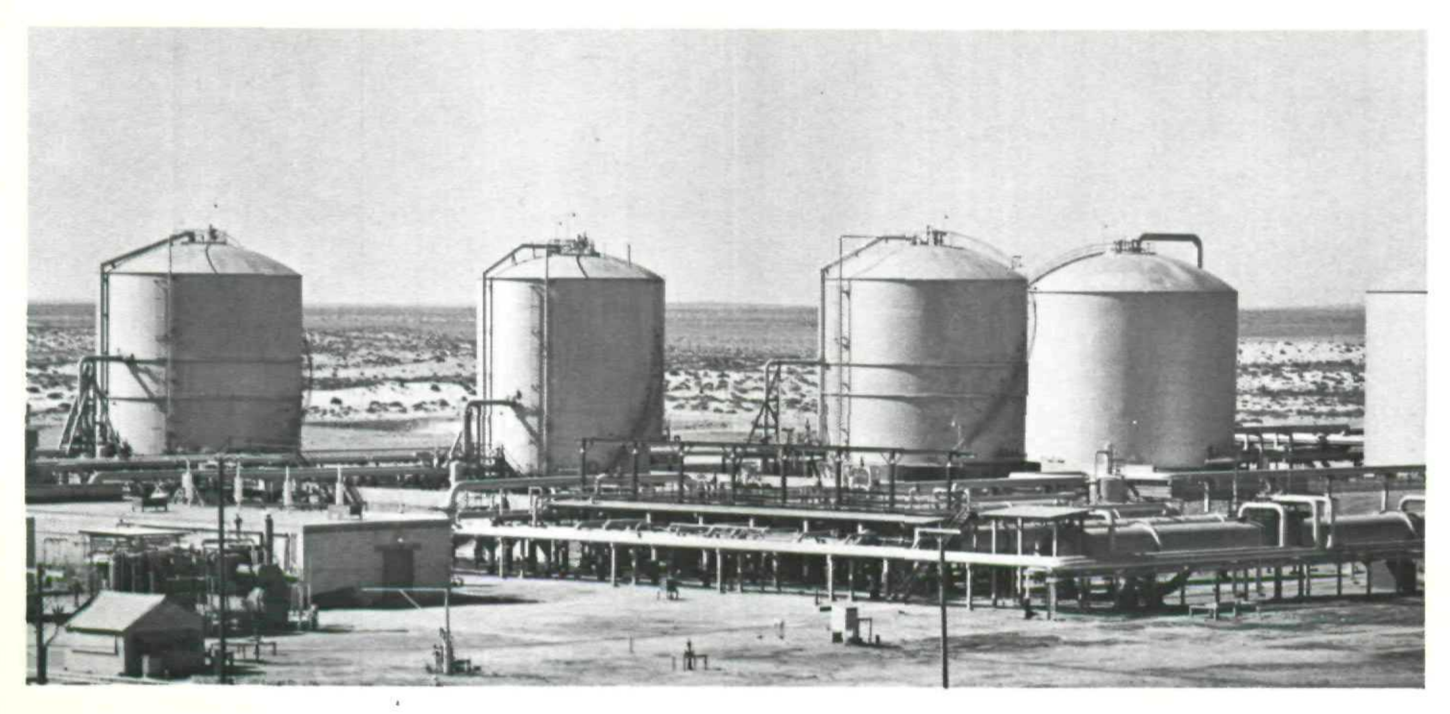
كيف يتم التخطيط لتطوير الانتاج ؟

ان أهم ما يستقطب اهتمام المسؤولين عن التخطيط لانتاج الزيت ويستأثر بعنايتهم اثناء اعدادهم البرامج الفنية الرامية لتطوير الانتاج ، هو الوجهة الاقتصادية . لذلك فهم يستعرضون الفرص التي لديهم ، فاما أن يستثمروا حقلا من الحقول الجديدة كحقل مرجان ، أو الظلوف ، أو البري ، أو جنى ، أو كران ، واما أن يطوروا حقلا من الحقول القديمة المنتجة .

ويعتمد اختيار احدى الطريقتين على حصيلة الدراسات والأبحاث التي يجرونها ، وكذلك على نوع زيت كل حقل وما تتطلبه مراحل التطوير من زيادة في عدد الآبار المنتجة ، وخطوط التجميع ، ومعامل فرز الغاز من الزيت ، وخطوط الأنابيب ، ومحطات الضخ ، ومرافق التركيز والخزن والشحن . وفي حال اتخاذ قرار بتطوير أحد الحقول القديمة المنتجة ، يقوم رجال التخطيط علاوة على ما سبق ، بدراسة حالة الحقل ومدى حاجته الى استخدام الوسائل الضرورية للمحافظة على مستوى الضغط الكامن فيه .

وبعد تحديد ما تحتاج اليه كل مرحلة من مراحل التطوير من المرافق والمعدات ، يقوم رجال التخطيط بدراسة التكاليف التي تتطلبها عمليات الانشاء ، والتكاليف التي تتطلبها عمليات التشغيل للاختيار بين تكلفة انشاء عليا وتكلفة تشغيل دنيا ، وبين تكلفة انشاء معتدلة وتكلفة تشغيل عليا ، وأيهما أجدى اقتصاديا . وينضوى

خطوط الأنابيب المختلفة الأحجام تحمل الزيت ومنتجاته الى منافذ التصريف الأربعة تبعا لمخططات مرحل الزيت .



أحد معامل فرز الغاز من الزيت التابعة لمنطقة السفانية .

تحت لواء الطريقة الاولى المعامل الاوتوماتيكية التي لا يتطلب تشغيلها عددا كبيرا من الموظفين ، بيد أن انشاء هذه المعامل يكلف أكثر من غيرها .

التخطيط للانتاج

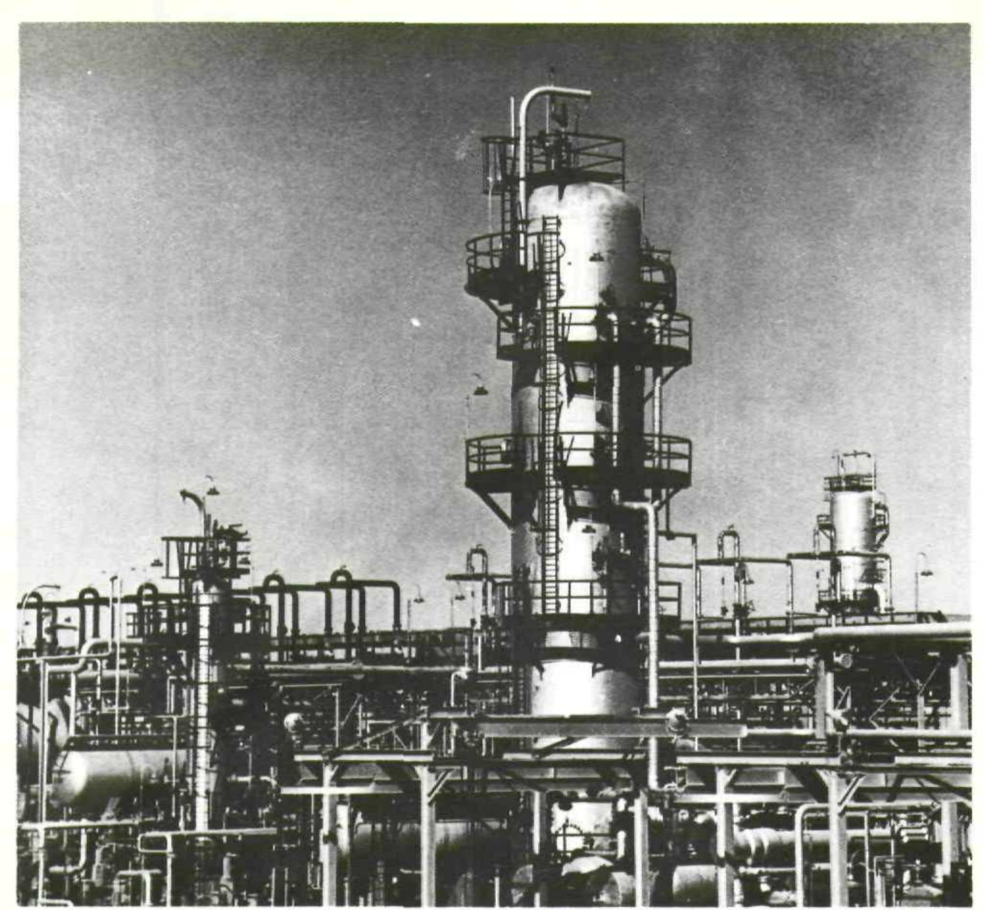
قبل عشرين يوما من بداية كل شهر تتلقى الآلة الحاسبة الألكترونية في رأس تنورة من مثيلتها الموجودة في مكتب الشركة في نيويورك برنامجا شهريا يتضمن أسماء الناقلات التي سترد فرضة رأس تنورة ، وتاريخ وصولها ونوع الحمولة التي ستشحنها وسعتها وخط سيرها الى غير ذلك من المعلومات . وتوزع نسخ من هذا البرنامج على المسؤولين لدى ادارة «تخطيط وتنظيم توريد الزيت» في الظهران ، وعلى فرق التشغيل في كل من رأس تنورة وبقيق وذلك لاعطائهم فكرة عن كميات الزيت الخام والمنتجات التي ينبغي شحنها يوميا . مع الأخذ بعين الاعتبار ما قد يطرأ على برنامج الناقلات من تغيير اضطراري وأخذ الحيطة لذلك . ولتأمين طلبات الناقلات يقوم المسؤولون عن ترحيل الزيت بوضع برنامج تفصيلي لسير أعمال مختلف مرافق الانتاج ، بعد معرفة كميات الزيت والمنتجات المتوفرة في الخزانات ، فيحددون عدد الآبار ومعامل فرز الغاز من الزيت التي ستعمل في كل حقل ، والطاقة التي ستعمل بها ، والمرافق التي ينبغي ايقافها للصيانة والمرافق التي ينبغي ايقافها عند الضرورة لتحديد كمية الانتاج في حال تأخر بعض الناقلات ، كما يحددون خطوط الأنابيب التي سيضخ الزيت عبرها ، ومقدار الضغط الذي ستتعرض له ، بالاضافة الى تحديد عمل معامل التركيز ومحطات الضخ وغيرها ، آخذين بعين الاعتبار تشغيل بعض المرافق المعينة قبل غيرها ، وذلك لتأمين كميات الغاز الضرورية لحقنها في جوف الارض للمحافظة على مستوى الضغط فيها . ويحاول هؤلاء المسؤولون جعل كميات الانتاج اليومية ثابتة قدر المستطاع ، وذلك للحيلولة ما أمكن دون ايقاف بعض الحقول ثم اعادة تشغيلها لما في ذلك من مشكلات فنية ، فتراهم على اتصال مستمر بمختلف حقول الزيت بواسطة عدد من الأجهزة السلكية واللاسلكية لتلقي المعلومات عما يطرأ على الانتاج من تغييرات مفاجئة ، بغض النظر عن الأسباب ، واعطاء القائمين على هذه المرافق الارشادات المناسبة وما يرتأونه من تعديلات في الانتاج .



أحد مخيمات فرق التنقيب عن الزيت في منطقة الربع الخالي .

الآلة الحاسبة الألكترونية في رأس تنورة ، وهي صنو الآلة الحاسبة في الظهران، وهما تستخدمان في اعداد كافة المعلومات عن الانتاج وحركة الناقلات والتغييرات الطارئة على برامج الشحن بين مكتب الشركة في نيويورك والادارة العامة في المملكة العربية السعودية.



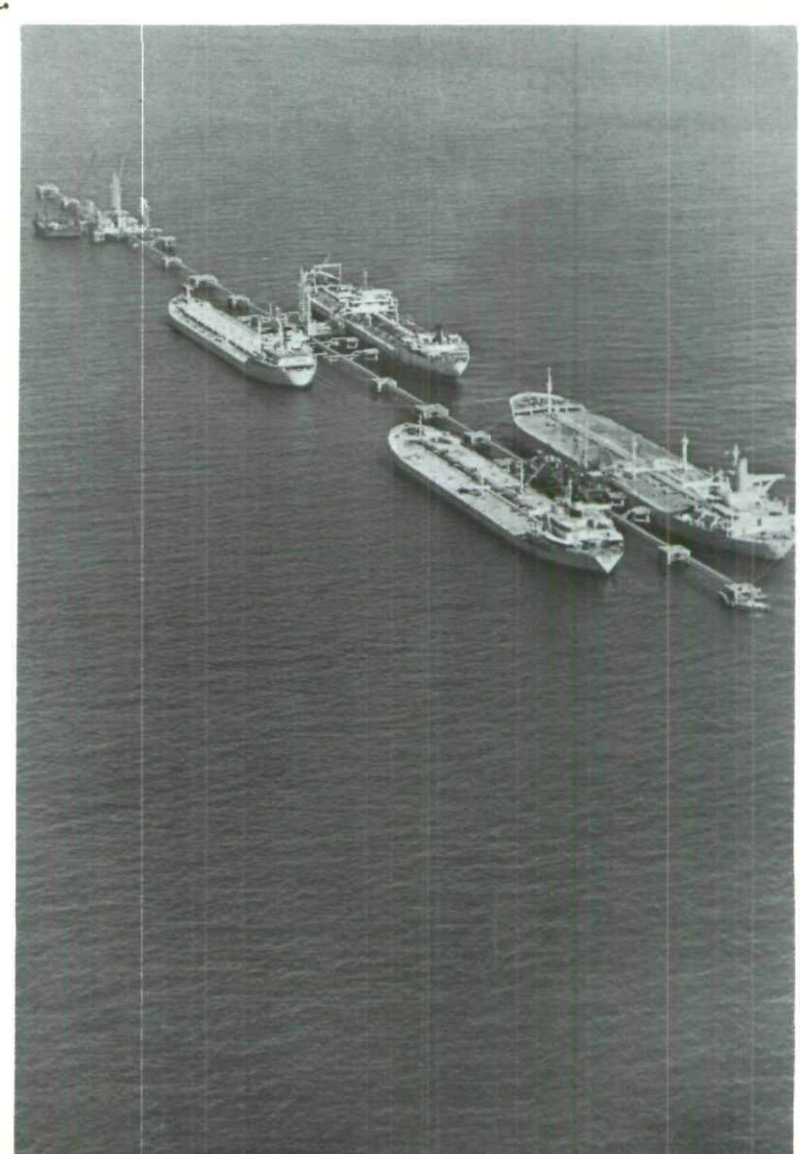


القسم الأكبر من زيت أرامكو يحتاج الى التركيز قبل شحنه الى الأسواق العالمية .



يبقى مرحل الزيت على اتصال دائم بمعامل فرز الغاز من الزيت ، لتحديد معدل انتاج كل منها تبعا للطلب .

منظر عام للجزيرة الاصطناعية في رأس تنورة وقد أخذ عن كثب .



أربع ناقلات زيت ضخمة أثنـــاء شحنها بالزيت الخـــام والمنتجات البترولية مـــن الجزيرة الاصطناعية .

التخطيط لتكرير الزيت

تلبية لطلبات الشركات الأم من المنتجات المكررة من الزيت الخام ، يقوم المسؤولون عن ترحيل الزيت بضخ الكميات الضرورية منــه لصنع هذه المنتجات الى معمل التكرير في رأس تنورة . وهناك يقــوم مخططو التكرير ، اعتمادا على البرنامج الشهري الذي يحدد المنتجات المطلوبة وكميتها ، واعتمادا على المعدل الثابت لانتاج كل وحدة من وحدات معمل التكرير ، بوضع برنامج لأعمال مختلف وحدات معمل التكرير ، مراعين فيه أمر زيادة الطلب على بعض المنتجات دون غيرها ، كتشغيل وحدات تقطير الزيت الخام بأقصى طاقة ان كان الطلب على الكيروسين والديزل أكثر منه على غيره ، وتشغيل وحدات قطف الزيت الخام بالطاقة القصوى ان كان الطلب على النفتا أكبر منه على غيره . ويشمل التخطيط للتكرير ، التخطيط أيضا لوحدة المزج لتمسي المنتجات النهائية مطابقة تماما للمواصفات المطلوبة .

هذا ويقوم مخططو معمل التكرير اسبوعيا ، بمراجعة جــداول الانتاج الحقيقية ومقارنتها بالبرنامج الرئيسي الموجود لديهم ، واجراء التعديلات الضرورية اللازمة لجعل انتاج معمل التكرير في نهاية الشهر مطابقا للبرنامج الرئيسي قــدر المستطاع .

التخطيط للفرضة البحرية

وللفرضة البحريــة أيضا مخططون يضعون برنامجا لتشغيل مختلف منشآتها ولصيانتها . فتراهم يحددون مكــان رسو كل ناقلة من الناقلات ، وموعد بدء شحنها بالزيت ، وجهاز التعبئة الذي سيخصص لها ، وخط الأنابيب الذي سيضخ الزيت عبره ، والسرعة التي تتم بها التعبئة ، الى جانب توجيه التعليمات والارشادات الى مرشدي الفرضة وموظفي قسم ترحيل الزيت .

وهكذا فان المخططات التي يجري وضعها لترحيل الزيت وتكريره ونقله وشحنه ، والبرامج التي يجري اعدادها لتطوير الانتاج في المستقبل كلها ترمي الى هدف واحد ، وهو تأمين طلبات الشركات الأم ، التي تمثل طلبات الأسواق العالمية ، بسرعة ودقة وعناية . ■

عصام العماد



تسجل على لوحة في مكتب التخطيط في رأس تنورة أسماء الناقلات الموجودة في الفرضة ، والمنتجات التي ستحملها ، وموعد بــدء تعبئتها وغير ذلك من المعلومات الضرورية .

الطمع والطموح

الامتلاك هو غاية الغايات للطامع والطامح ، ويكاد يكون الفارق بينهما — في شيء من الايجاز — هو الفرق بين القاصر والقادر .

وكلاهما رغبة ، الا أن رغبة الطموح فيها من الوعي والاحساس ما يجعل صاحبها يشعر بكل هذا ، فيتجنبه ما أمكن ، بينما رغبة الطمع غلابة عمياء ، تتغلغل في النفس وتستبد بها ، وتفقدها اتزانها وصوابها .

واذا كان الامتلاك هو غاية الاثنين ، فان الوسيلة تختلف كل الاختلاف لادراك هذه الغاية المرغوب فيها ، فالطامع يشتهي التملك دون جهاد ، لا لكسل منه ولكن لضعف فيه ، فهو يحاول الاجتهاد ولكن سرعان ما يناله الاعياء والاجهاد ، وذلك لأن قدراته محدودة بحيث لا تحقق له ما يطمع في تحقيقه . وهنا ينشأ صراع في النفس نتيجة عجزه وقصوره . وتكون كلمة الشاعر « عيسى بن موسى » قد أصابت المحز ، وهي :

القلب يطمع والأسباب عاجـزة
والنفس تهلك بين العجز والطمع

وعدم تحقيق مطامع الانسان — مع تقدم غيره — تولد في نفسه آلاما قد تدفعه الى القيام بمحاولات غير اخلاقية تقوم على أساس المبدأ « المكيافلي » الغاية تبرر الوسيلة فيهدر كرامته ، ويعبث بحرمته ، مدفوعا بحكم نزواته وأهوائه . وقد أورد ابن قتيبة في « عيون الأخبار » بيتا لأحد الشعراء يقول فيه :

حسبي بعلمي لو نفع
ما الذل الا في الطمع

ومما يروى عن « أشعب بن جبير » الطامع : « انه كان له خرق في بابه فينام ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجيء انسان فيطرح في يده شيئا من الطعام . وقد لاقى أشعب ما لا يسر خاطره نتيجة لذلك .

والطماع يميل الى امتلاك كل ما يروق العين ويستهوي النفس . ويقول أبي ذؤيب الهزلي في هذا :

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع

والمثل الآتي يشير الى مدى مطامع الانسان ورغبته الجائرة في التملك والاستحواز . قيل لأشعب ذات يوم « ما بلغ من طمعك ؟ » قال : « ما رأيت اثنين يتساران قط ، الا كنت أراهما يأمران لي بشيء » .

والطمع قريب الحسد ، فاذا عجزت النفس الطامعة عن امتلاك ما تريد امتلاكه ، انقلبت الى نفس حاسدة حاقدة آثمة ، لأن الطمع بطبيعته رغبات طائشة تنقاد لها النفس .

وفي حالة الطمع تسيطر « الأنا » السلبية على المرء سيطرة تامة ، بحيث لا تستطيع معها أن تقاوم المغريات ولا تجاهد الأهواء لأن المرء في هذه الحالة يكوّن فكرة عن نفسه نابعة من داخله ، فيرى أنه أكثر رقيا وأسمى موهبة من غيره ، وان له حقا منكورا في الثروة والجاه ، وما هو الا كبش فداء ، وضحية مجتمع لا يقدر عبقريته ولا يقوّم مواهبه . ويمضي المرء في أفكاره الخاطئة فينسخ الحق بالباطل ، ويلغي العدل بالاعوجاج ، ومن ثم تعمل « الأنا » على قلب القيم ووأد الأخلاق . وفي هذا الجو المشحون بالألم والمغالطات ، تتحرك الميول الراقدة طاغية مكتسحة ، وتثار الأهواء المكبوتة عاتية معترمة ، وتصبح النفس عصية متمردة ، ويصير هول عاصفتها مدمرا ماحيا ، ورهبة تجهمها مروعة مزعجة . وفي هده الحالة يصعب على الانسان أن يشعر بلا شيئيته أمام من تفوقوا عليه ، ويؤلمه أن يجد نفسه كالعشب حول السنديانة الجبارة التي لا تهاب هب الريح . وهنا تنكص رغباته ، وتعتكر نفسه ، ويمضي صفوها ، ويعالجها الشجو ، وينمو عنده شعور بضعفه فلا يقوى على الثبات أمام رغباته وأهوائه ، ولا

بقلم الاستاذ أحمد حسين الطماوي

يستطيع التخلص من أغلاله ، فيحقد وينفث سموم حسده فيمن حققوا ساميات الرغائب . وفي حالة الحسد ، تختل موازينه وتضطرب أحواله ، ويتحسس الألم وهو يطوي بهجته . وقد أورد الماوردي في كتابه « أدب الدنيا والدين » قول بعض الحكماء : « يكفيك من الحاسد انه يغتم في وقت سرورك » .

وفي الأدب العربي أمثال وافرة ، واشارات كاثرة عن الطمع والطامعين ، تصف أحوالهم المختلفة ، وتبرز اتجاهاتهم المتباينة ، كما أن في هذه الأمثال والأشعار ما يوصي بالقناعة موضحة للناس فضائلها ومزاياها . ومن هذه الأمثال أو الحكم المنثورة ما جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه « غثك خير لك من سمين غيرك » . وقال أبو الأسود الدؤلي في رجل : « اذا سئل أرز ، واذا دُعي انتهز » . وقال سعد ابن أبي وقاص في وصيته لابنه : « يا بني ، اذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فانها مال لا ينفد ، واياك والطمع فانه فقر حاضر . » ويضرب المثل بطمع أشعب فيقال : « أجسر من قاتل عقبة ، وأحلم من أحنف ، وأشأم من طويس ، وأطمع من أشعب . » ويقال : « القناعة كنز لا يفنى . »

ويقول البحتري :

اذا ما كان عندي قوت يوم
طرحت الهم عني يا سعيد
ولم تخطر هموم غد ببالي
لأن غدا له رزق جديد

وقول محمود الوارق :

غنى النفس يغنيها اذا كنت قانعا
وليس بمغنيك الكثير من الحرص
وأن اعتقاد الهم للخير جامع
وقلة هم المرء تدعو الى النقص

أما الطموح فيدخل تحت مبدأ التطور الطبيعي والتغيير المستمر في حياة الانسان . والمرء في حالة الطموح يخرج عن الذات المحدودة ، مستهدفا حياة أرقى ومستوى أفضل ، حيث تعذوذب عيشته فتراه يلهو لهو من لا يعرف الضيق ولا الفقر .

ولا ريب أن الطموح يلعب دورا فعالا مستمرا في حياة كل انسان ، والطمحات الشخصية لازمة من لوازم الحياة عند الأفراد والجماعات . وتحاول الذات في حالة الطموح التكيف السليم بين الرغبات والآمال من ناحية ، والظروف الحرجة والأحوال المتغيرة من ناحية أخرى ، بأن تكون على اتساق مع الأوساط الاجتماعية ، وفي دأب دائم لتذليل العقبات الطارئة ، واخضاع الأحداث العارضة .

والطامح غالبا ما يجعل الطريق الى هدفه عدة مراحل ، ما أن تنتهي مرحلة حتى تبدأ أخرى . وفي سبيل تحقيق طمحاته قد يدخل حلبة المنافسة التي قد تقوده الى مشاكل لا ينتظرها ، فالطرق قد لا تكون مفتوحة أمامه ، وقد تكون هناك عوامل كثيرة تثبط عزيمته ، ولكن الأمل لا يفتأ يحركه وينشطه ، ففي حالة الطموح توقظ الرغبات والحاجات والميول .

ويرتبط الطموح دائما بالقدرات والامكانات وقوة الارادة والتصميم ، والعزيمة التي لا تلين والهمة التي لا تفتر وتوفر الحوافز والقوى الدافعة . يضاف الى ذلك القدرات الخاصة بالتعبير وتهذيب اللغة والسلوك ، وملاءمة الأسلوب حتى تقرب الطامح من أهدافه ، كما يجب على الطامح أن يكون دراكة بأحوال النفس ونظامها ، مع عدم اغفال الحالة الجسمية أو البدنية ومقدار النشاط العضلي والذهني .

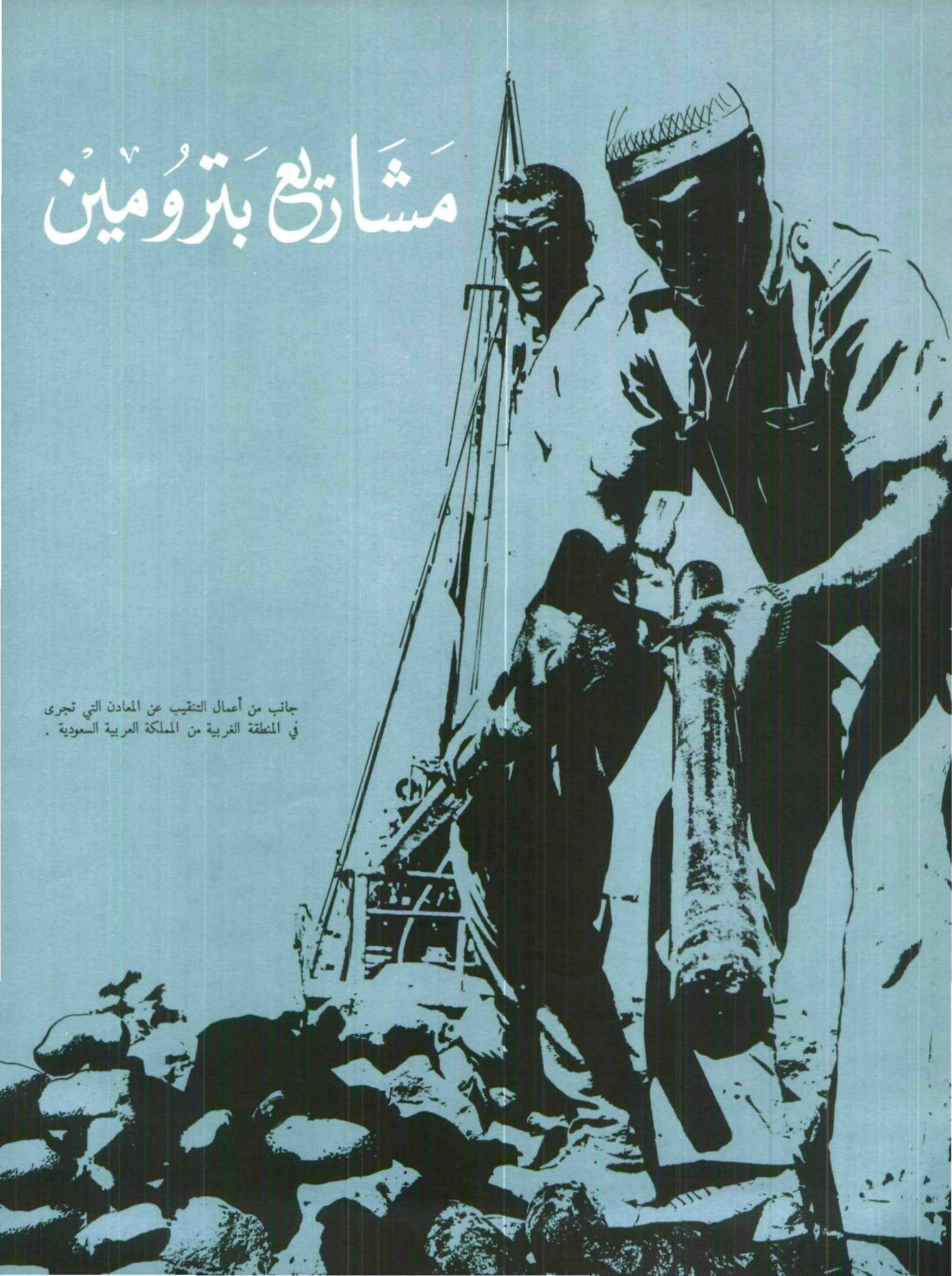
أما بواعث الطموح فانها كثيرة ، وجذورها ضاربة في أغوار النفس الانسانية . وقد تكون هذه البواعث هي ظروف نفسية واجتماعية وخلقية. فبالنسبة للظروف النفسية قد يكون الطموح نتيجة ارضاء للنفس أو اعجاب بها ، وقد يكون لمجرد تحقيق القوة للاستفادة منها في التغلب على الأعداء ، أو لمجرد احساس بالنقص ازاء الناس الذين يتفوقون على الطامح في ميدان من الميادين التي يطرقها ويعرض لها . وقد يكون استجابة للقلق ، فتفاعل الانسان مع القلق يدفعه الى الطموح سواء بالاستجابة له أو بالتخلص منه ، فهو بطموحه يرتفع الى ما يعلو على القلق . وقد تكون الغيرة ، وخصوصا من الأنداد والقرناء والأقرباء ، باعثا قويا الى تحقيق أفعال تفوق على ما تصنعه أيادي الآخرين وما تنتجه قرائحهم .

أما الظروف الاجتماعية فان الأزمات الناشئة عن مشاكل الحياة اليومية ، وعدم الرضا بمستوى العيش الخفيض ، والرغبة في ملاحقة التطور العالمي في شئون الحياة الاجتماعية ، قد تدفع الانسان الى الطموح وتحركه الى أهداف تحقق له ما يكفل أمنه واستقراره بوجه أفضل . وان أصدق معلومات عن الشخص تأتي عن طريق أفعاله باعتبار أن هذه الأفعال تأتي معبرة عن دوافعه ورغباته ومواقفه الاجتماعية .

وأما الظروف الخلقية فان بعض التشويه الخلقي في الجسم ، مثل الحدب والصمم والقصر والعمى ، قد يدفع الانسان دفعا ملحا الى التعويض عنه، بطريق الطموح وتحقيق أغراض أعلى من المستوى العادي .

وقد شغلت نظرية « الدوافع » أو القوى الفعالة علماء النفس . فخصص لها « ريد — T.Reid » مجموعة مقالات عن القوى الفعالة في العقل الانساني . وقال « موري — Murray » : « ان الحاجات هي الدافع الى الفعل » . بينما يرى « ماكدوجال — McDougall » ان الغرائز هي مصدر الدافع الى الفعل . ويصف « هوبس Hobbes » الرغبات بأنها حركات ارادية . أما « فرويد — Freud » فيرى أن الطموح عبارة عن نزوع تعويضي يسببه الأخفاق أو الفشل الذي يتعرض له الانسان ■

مَشَاريع بترومين



جانب من أعمال التنقيب عن المعادن التي تجرى في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية .

في حقل المعادن والصناعات التعدينية

بسم الله الرحمن الرحيم
بفضل من الله وتوفيقه
قام حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود المعظم
« بوضع الحجر الأساسي للمرحلة الأولى »
لمصنع الحديد والصلب
وذلك في يوم السابع عشر من ذي الحجة ١٣٨٥ هـ
الموافق للثامن من شهر ابريل ١٩٦٦ م

لوحة تذكارية يشاهدها الزائر لمعمل الحديد والصلب على مدخل مبنى المكاتب العامة .

المملكة العربية السعودية تسير اليوم قدما في شتى الميادين الحيوية . أثر النجاح الذي أحرزته في انتاج البترول ، حيث أصبحت تعد رابع دولة منتجة للزيت في العالم ، وجهت أنظارها نحو استغلال الثروات المعدنية ، فقامت المديرية العامة للثروة المعدنية التابعة لوزارة البترول والثروة المعدنية بالتنقيب عن المعادن في مختلف مناطق المملكة ، أسفرت عن العثور على ما يربو على ثلاثين نوعا من المعادن الفلزية مثل الحديد ، والنحاس ، والذهب ، والفضة ، والزنك ، والفوسفات ، والبارايت ، واللافلزية كالجرانيت ، والجبس ، الرخام ، والملح ، والسيليكا ، والاسبستوس . وعقب العثور على هذه الخامات ، عهد الى المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) باستغلالها ، فشرعت بوضع المخططات والبرامج التفصيلية لاستغلالها تدريجيا . ونظرا لاتساع مجالات استخدام الحديد في العصر الحاضر ، وكونه عنصرا أساسيا في حقل البناء والعمران ، وتوفر خاماته بكميات كبيرة في المملكة ، بدأت « بترومين » نشاطها التعديني باستغلال هذه الخامات واستخدامها في اقامة صناعات متكاملة للحديد والصلب تبدأ بتعدين الحديد من مناجمه وتنتهي بتصنيعه منتجات انشائية مفيدة .

وبالاضافة الى ذلك عكفت « بترومين » جادة على انهاء دراساتها المتعلقة باقتصاديات المعادن وهندسة المناجم للتوصل الى أفضل الطرق وأكثرها فعالية وربحا لاستغلال مختلف الثروات المعدنية الأخرى .

خامات الحديد

أسفرت الدراسات التنقيبية التي أجرتها وزارة البترول والثروة المعدنية عن العثور على خامات حديد في ثلاث مناطق مختلفة من المملكة العربية السعودية ، هي : منطقة « الصواوين » وتعتبر أغنى مناطق المملكة بالحديد ، اذ تبلغ مساحة الرقعة التي عثر فيها على رواسب الحديد حوالي ٥٢ كيلومترا مربعا . وخامات هذه المنطقة من نوع « الهيماتيت » المتوسط الجودة ، ونسبة الحديد فيها حوالي ٤٠ في المائة . وهي ذات موقع جيد اذ لا تبعد عن شاطيء البحر أكثر من عشرين كيلومترا تقريبا ، ومنطقة « وادي فاطمة » وتبعد عن جدة نحو ٤٠ كيلومترا ، وتقدر كمية خام الحديد الموجودة فيها بنحو ٥٠ مليون طن ، وحديد هذه المنطقة من نوع « الهيماتيت » المتوسط الجودة أيضا ، وهي أول منطقة سيباشر في استغلالها لدى استكمال مراحل مشروع الحديد والصلب ومنطقة « جبل ادساس » ، وكمية احتياطي خام الحديد فيها قليلة نسبيا ، اذ تقدر بحوالي ٦,٥ مليون طن ، الا أنها من نوع « المجناتيت » ، وعلى درجة عالية من الجودة . ولا تزال هناك دراسات جادة تجرى في هذه المنطقة في سبيل العثور على كميات جديدة من الحديد .

صناعة الحديد والصلب

عهدت « بترومين » اثر العثور على خامات الحديد الى انشاء مصنع للحديد والصلب في مدينة جدة يتألف من ثلاث مراحل رئيسية ، ومن ثلاث مراحل فرعية . والسبب في جعله يمر بعدة مراحل هو العقبات التي يواجهها ، ومنها صغر حجم السوق المحلية ، وقلة الأيدي العاملة المدربة ، ونقص الخبرة الفنية .

المرحلة الأولى

تم حتى الآن تنفيذ المرحلة الأولى من هذه الصناعة ، وهي تحويل سبائك الصلب المستوردة الى قضبان وزوايا وحديد مبسط تستخدم في البناء .

وكانت مواصفات اقامة المصنع قد طرحت في مناقصة عالمية اشتركت فيها عدة شركات ، فرست أخيرا على شركة (روبرتسن) الانكليزية التي تعهدت بتدريب عدد من السعوديين على أعمال المصنع الفنية . وقد استغرق انشاء المصنع ثلاث سنوات ، في يونيو عام ١٩٦٧ ، لتبدأ اثر ذلك عمليات التشغيل التجريبية التي استغرقت مدة أربعة أشهر تقريبا وتمت بنجاح . عندئذ بدأ المعمل انتاجه الحقيقي بطاقة مقدارها ١٥ ألف طن سنويا في النوبة الواحدة ، وهنالك مجال لتوسعة المعمل داخليا لرفع طاقته السنوية الى نحو ٧٠٠٠٠ طن .

تنقل سبائك الصلب بواسطة رافعة رأسية كهرطيسية .

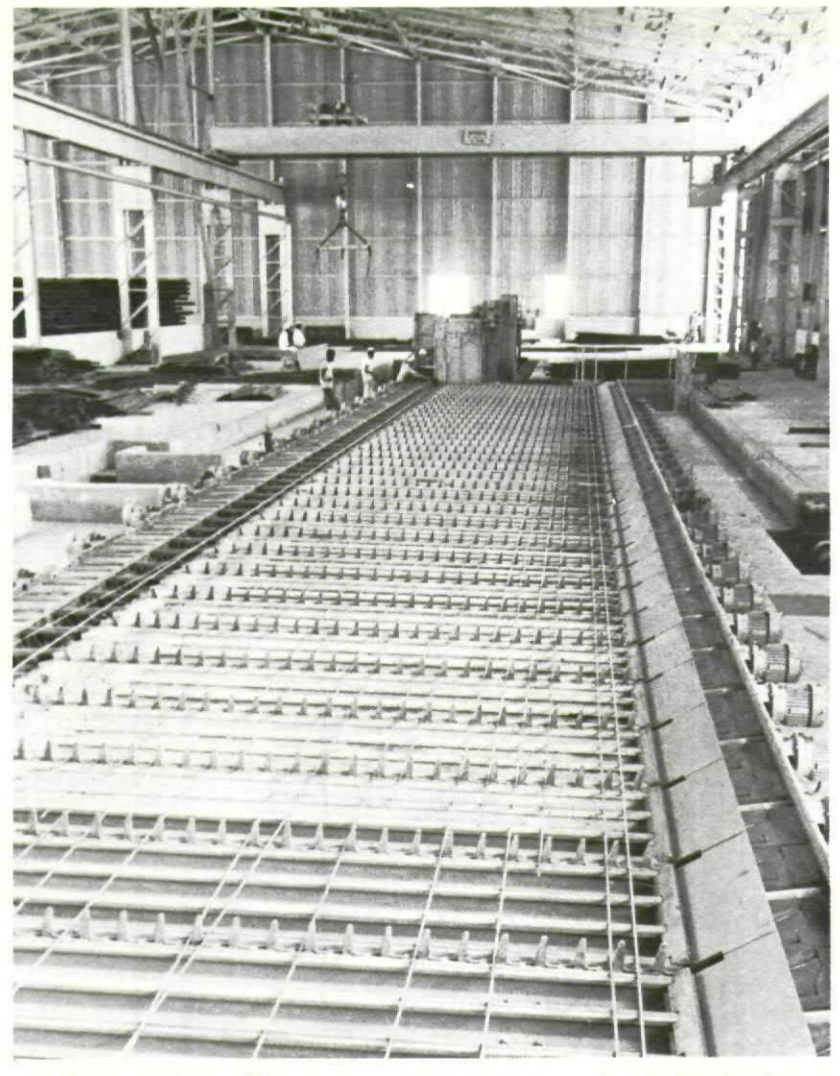
تسحب السبائك المحماة عبر آلات خاصة عدة مرات حتى تتخذ الأحجام والأشكال المطلوبة .

يقوم المصنع في بناء ضخم هيكله من الفولاذ وبطانته من صفائح « الاسبستوس » ، ويبلغ طوله حوالي ٢٠٠ متر ، وارتفاعه حوالي ١٢ مترا ، وهو مكوّن من جناحين عرض كل منهما حوالي ٢٣ مترا . فالجناح الجنوبي يضم مرفقا لخزن السبائك وقصها حسب الأحجام المطلوبة ، كما يضم الأفران التي تقوم بتسخين هذه السبائك الى حوالي ١٢٠٠ درجة مئوية . ويستخدم لنقلها عبر مختلف هذه المراحل ، رافعة رأسية كهرطيسية (Electro — Mazirat) .

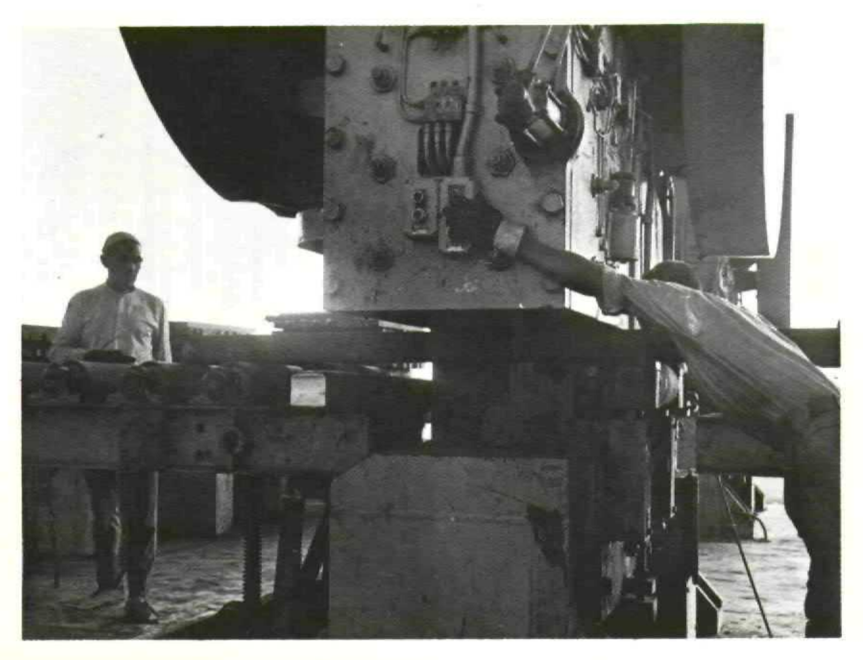
وتخرج السبائك اثر تسخينها من موءخرة الفرن الى الجناح الثاني من المصنع حيث تمر الواحدة تلو الأخرى عبر منصات التشكيل مرات عديدة ، لتمسي في النهاية منتجات ذات مواصفات وأطوال وأشكال معينة ، ثم ترسل الى المخازن تمهيدا لنقلها الى الأسواق .

وينتج المصنع حاليا أربعة أنواع من المنتجات ذات المقاسات المختلفة هي : أسلاك تسليح (يتراوح مقياسها ما بين ٦ و ١٠ مليمتر) ، وقضبان تسليح (يتراوح مقياسها من ١٠ الى ١٢ مليمتر) ، وحديد مبسط (ستة مقاسات مختلفة) ، وحديد زوايا (ثلاثة مقاسات مختلفة) . وسيمسي باستطاعة المصنع اثر انتهاء بعض التوسعات الداخلية انتاج ثمانية أنواع أخرى من المنتجات هي : حديد مربع (ثمانية مقاسات مختلفة) . وقضبان حديد (سبعة مقاسات اضافية) وحديد مبسط (اثنا عشر مقاسا) .

ويلحق بالمصنع مبنى نموذجي للمكاتب الادارية ، يقوم الى جنوبيه جهاز لمعالجة المياه ، وخزانات لمياه التبريد ، ومحطة لتوليد الطاقة الكهربائية .



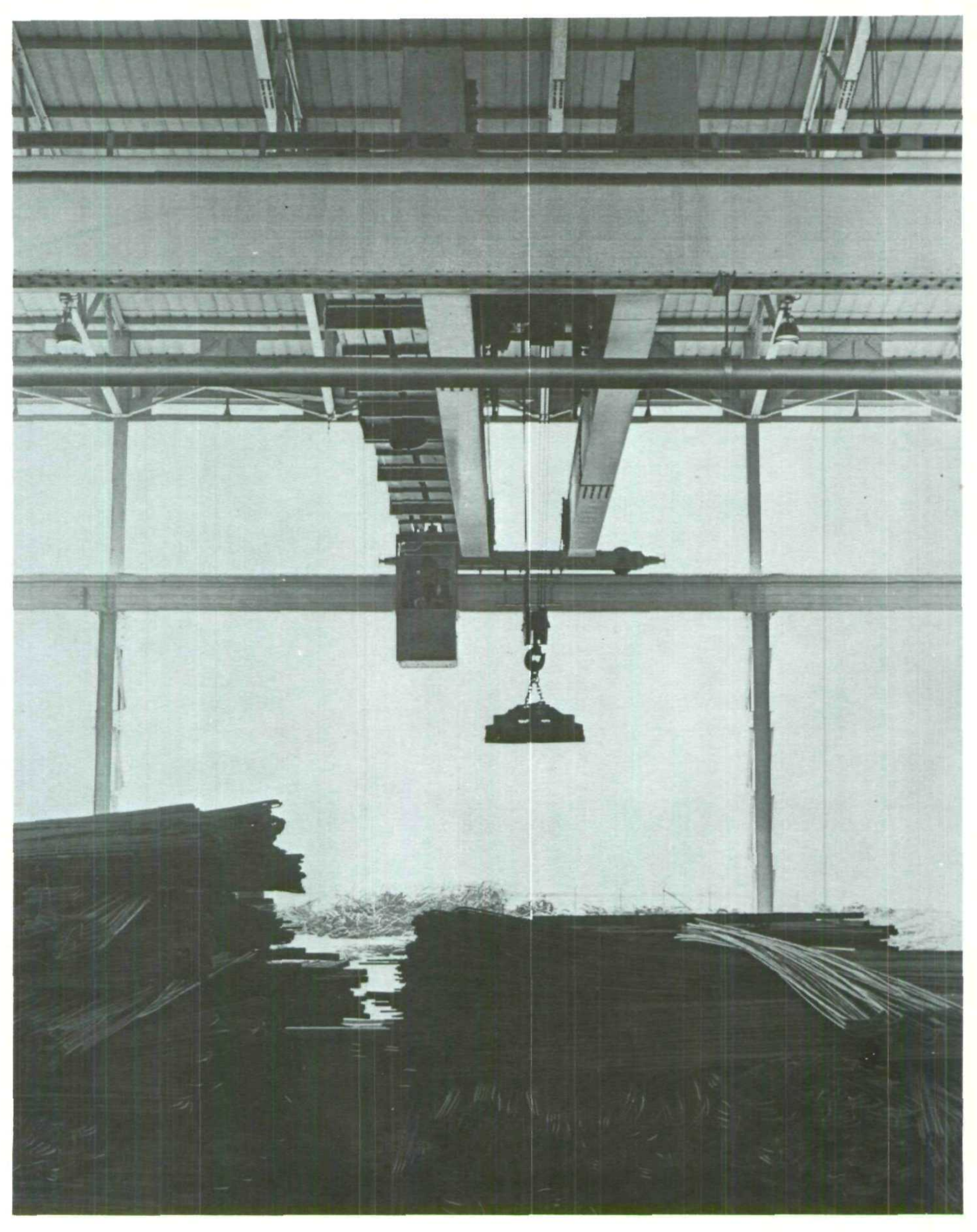
ترص المنتجات الجاهزة على منصة خاصة بانتظار قصها حسب الأحجام المطلوبة وتخزينها .



تقص السبائك قبل دخولها الأفران الى أحجام معينة .

المرحلتان الثانية والثالثة

لدى استكمال المرحلة الأولى من المشروع بجميع خطواتها التوسعية يعمد عندئذ الى تنفيذ المرحلة الثانية منه التي بتمامها يمسي بامكان المصنع انتاج سبائك الصلب محليا . كما يمكن حينذاك انتاج قضبان حديدية مجوفة على شكل حرف « U » (أربعة مقاسات) ، وعوارض حديدية (أربعة مقاسات) ، وقضبان لسكة الحديد « F. B. Rails » (ثلاثة



تنقل قضبان الحديد الجاهزة الى مستودعات التخزين تمهيدا لتسويقها .

تصوير : أحمد منتاخ

مقاسات)، وزوايا حديدية «B. S. E. Angles» (أربعة مقاسات) وحديد على شكل « T » (ثلاثة مقاسات)، وحديد «B. S. U. T. A.» (أربعة مقاسات).

ومتى أنجزت المرحلة الثانية من المشروع يعمد الى تنفيذ المرحلة الثالثة التي تختص باستخراج الحديد الخام من منطقة ترسبه في « وادي فاطمة »، وتنقيته وصهره، وبالتالي صنع السبائك المعدنية منه. ولدى انجاز هذه المرحلة تكون المملكة العربية السعودية قد أصبح لديها صناعة وطنية متكاملة للحديد والصلب. وقد ذكرت مجلة « التجارة » التي تصدر عن الغرفة التجارية والصناعية في جدة أن مجموع تكاليف المرحلة الأولى من مشروع صناعة الحديد والصلب بلغت (٣٠٨٠٠٠٠٠) ريال سعودي بينما يتوقع أن تبلغ تكاليف المشروع لدى اكتمال مراحله الثلاث حوالي ١٥٠ مليون ريال سعودي.

المراحل الفرعية

أما المراحل الفرعية التي يشملها مشروع الحديد والصلب، فهي اقامة مصنع لانتاج الأنابيب، وآخر لانتاج القضبان الحديدية في الرياض، وثالث لانتاج الصفائح الحديدية. ويتوقع أن تبدأ « بترومين » بتنفيذ هذه المراحل في الوقت الذي يتم فيه تنفيذ المرحلة الثانية من مراحل المشروع الأساسية. اما بالنسبة للمرحلة الاولى وهي صناعة الأنابيب، فان « بترومين » تدرس حاليا انشاء مصنع لانتاج أنابيب حلزونية تتراوح أقطارها بين ٤٠ و ١٢٠ سنتيمترا، وذلك لتسويقها داخليا وفي البلاد العربية المجاورة تلبية لطلبات شركات الزيت المتزايدة عليها.

مشاريع جديدة قيد الدراسة

لقد تم العثور على مادة الفوسفات في المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية على مقربة من مدينة طريف. ولما كانت هذه المادة تشكل عنصرا رئيسيا في صناعة السماد وفي غيره من الصناعات الكيماوية، فان وزارة البترول والثروة المعدنية تدرس حاليا أمر تعدين هذه المادة واستغلالها، في حين تدرس « بترومين » أمر ادخال هذه المادة على صناعة الأسمدة الكيماوية التي ستبدأ قريبا في المنطقة الشرقية من المملكة.

هذا وتجري في الوقت نفسه دراسات أخرى جادة حول استغلال خامات المغنيسيوم والفضة والنحاس والباريت اثر مسح مواقع ترسبها وتحديدها، وتقدير الكميات الموجودة منها في المملكة.

لقد خطت « بترومين » خلال السنوات الخمس من عمرها خطوات كبيرة في حقلي البترول والمعادن وليس ببعيد أن يأتي اليوم الذي تملأ فيه مداخن المصانع أجواء مدن المملكة، مسهمة بذلك في دعم اقتصاد هذا البلد ■



تطوى بعض القضبان الفولاذية الطويلة على شكل لفائف تسهيلا لخزنها ونقلها.

تصوير: أحمد منتاخ

وفاء المعتمد

بقلم : الاستاذ عبد الله حشيمه

— « ابن شاليب » .. ما كان أغناه عن تقدير نفسه بأكثر مما يساوي ، فيلقى المصير الذي لقيه عندنا .

قالها « المعتمد بن عباد » لجلاّسه .

و « المعتمد » كان من خيرة ملوك الأندلس ، جلس على عرش اشبيلية زمنا كان زمن ازدهار ، اقتصادا وعمرانا وأدبا .

وكان بينه وبين « ألفونس » الأسباني عهد ولاء . وغير مرة تبادل واياه السفراء . ومن سفراء « ألفونس » كان « ابن شاليب » ، وقد بدرت منه بادرة عدها المعتمد اهانة شخصية له ، فأمر على الفور بشنقه .

ومن أقرب جلاسه اليه كان شاعره ونديمه « ابن نباته » ، فقال هذا :

— ما أخال « ابن شاليب » تجرأ على تحدي الأسد في عرينه بدافع من نفسه .

وأثار قوله اهتمام « المعتمد » ، قال :

— بدافع ممن فعل ؟

— بدافع من مولاه .

— من « ألفونس » .. أتجهل أن بيني وبين ملك الأسبان هذا عهد ولاء .

— كلا يا مولاي ، ولكن ..

— ولكن ماذا ..؟

— عهود الولاء تنقضي ، متى كان من وراء نقضها مأرب لأحد الطرفين المتعاهدين .

والمعتمد لا يجهل هذا ، قال :

— ويحك ، يا ابن نباته .. أللشعر والسياسة أنت ، ولا ندري ؟!

قال الشاعر الذكي :

— من عاش في قصور الملوك ، أخذ عن أربابها الصيد ، أو كان غير جدير بخدمتهم

وعاود الاهتمام المعتمد ، قال :

— وما مأرب « ألفونس » من نقضه العهد ؟

— العود الى الحرب .

— العود الى الحرب !.. أمن مصلحته هذا ؟

— ليس لي أن أجاوب عنه .

— وهو في رأيك من دفع ابن شاليب الى ما بدر منه ؟!

— ومن أغرى « ابن لاطون » باثارة الفتنة التي أثارها في قرطبة على الأمير الظافر ؟

— وهذا في رأيك ؟!

قالها المعتمد وقد بلغ اهتمامه الذروة . فالأمر جدّ خطر . ومع ذلك فقد كان على الملك العربي أن لا يتنازل عما تعود مجابهة الأحداث به من رباطة الجأش ، قال :

— وما تراه فاعلا ، بعد أن لقي كل من « ابن شاليب » و « ابن لاطون » جزاءه ؟

قال ابن نباته :

— لم يبق الا أن يعلن الحرب .

قال المعتمد هادئا :

— ونحن لها .. سالمناه اذ أراد السلم ، ونحاربه ان أراد الحرب .. وعودنا لا يكسر . وأعلن حاجب المجلس :

— عاد الوزير « ابن سعيد » من قرطبة ، وهو يستأذن بالمثول بين يدي مولاي .

وأذن له المعتمد .

وكان « ابن سعيد » وزير بلاط أشبيلية ،

وصاحب الرأي الأول فيه ، وفتنة قرطبة أثارت قلق البلاط ، فراح بنفسه لاكتشاف سر تلك الفتنة .

قال له المعتمد :

— هات ، يا « ابن سعيد » .. من كان وراء « ابن لاطون » في فتنته تلك ، وكيف اتصل بولدنا الظافر نبأها ؟

قال ابن سعيد :

— تعرف يا مولاي « أبا الحسن » التاجر ..

قال المعتمد مهتما :

— كبير تجار الأندلس !.. ما شأنه في الأمر ؟

— لأبي الحسن هذا ولد نابه يدعى « نصير » ، له في ميادين الأدب كما في ميادين الفروسية جولات ، ويقضي معظم أيامه في قرطبة باحثا عن الجديد من كتب العلم ورسالاته .

— ليضيف الى ثروة أبيه الفانية ثروة لا تفنى .. أتعرفه يا « ابن نباتة » ؟

أجاب الشاعر :

— أعرفه ، وتربطني به وبأبيه أطيب الصلات .

قال المعتمد بلهجة العاتب :

— أترى أنك مقصر في واجبك ؟

وبوغت الشاعر بما سمع ، وقال :

— كيف ، يا مولاي ؟

— أيكون في الأندلس فتى أدب كهذا ، ويبقى بعيدا عن بلاط المعتمد بن عباد ؟

سري عن الشاعر ، قال :

— عفو مولاي ..

وتابع المعتمد قائلا :

— أكمل ، يا ابن سعيد .

وأكمل الوزير قائلا :

— واذ كان « نصير » نزيلا على بعض خانات المدينة ، طرق سمعه حديث أدرك بنباهته أنه حديث مؤامرة على حياة الأمير الظافر ، يحيك خيوطها ابن لاطون .

— ابن لاطون شقي الأندلس الأكبر .

— وعلم في الوقت نفسه أن وراء هذه المؤامرة الأمير « بدرو » أخا الملك « ألفونس » .

صدق اذن «ابن نباتة» . الملك «ألفونس» يريد نقض العهد ، يريد العود الى حالة الحرب ، وفتنة وراءها أخوه لا يمكن أن تكون غير المقدمة الحتمية لذلك .

وتابع ابن سعيد :

— وكان الأمير الظافر يستجم في ضيعة له بعيدا عن المدينة ، فانطلق « نصير » لتحذيره ، وطوق الأشقياء بعدها مقره ، فقاتلهم قتالا صرع « ابن لاطون » خلاله ، ولاذ الباقون من رجاله بالفرار .

— وابن أبي الحسن ؟

— يحدّث الأمير الظافر عن فروسيته ، ولا يوازي شدة اعجابه به سوى ما كان من شدة قلقه عليه .

— شدة قلقه عليه ؟

— ذلك أنه ما انفك يقاتل الى جانبه ، ويصرع الواحد بعد الآخر من مهاجميه ، حتى هوى الى الأرض مثخنا بالجراح .

— وذات بال جراحه ؟!

قالها المعتمد قلقا ، فقال ابن سعيد :

— لا بأس منها عليه .

— وما فعل له الظافر ؟

— بذل وأطباؤه كل ما في الامكان بذله للعناية به ، ولما اطمأن الى حسن حالته ، بعثه الى دار أبيه نزولا على رغبته .

قال المعتمد متأثرا :

— أقل ما كان على الظافر أن يفعل هذا ، وعلينا نحن أن نبعث من يعوده ويهنيء والده باسمنا على نباهته وصدق جنانه .

وقال لابن نباتة :

— اليك نعهد بهذه المهمة ، وعساك أن لا تستأثر بعد بصداقة أمثاله ..

قال الشاعر ضاحكا :

— لا أجهل يا مولاي ان الاستئثار بصداقة من كان كابن أبي الحسن في عهدكم خطيئة ولذا أسألكم العفو عن خطيئة ارتكبتها دون سابق قصد ، وأعدكم بأني سأكفّر عنها بالبقاء عند الفتى الجريح الى أن يشفى ، ولا أعود الا به .

* * *

كبير تجار الأندلس دعا المعتمد أبا الحسن ، وكبير تجار الأندلس كان احد أوطد أركان مجتمعه نبلا وخلقا .

ومع ولده « نصير » كان يعيش في داره . وسرّ أبيه كان الولد . وفخر أبي الحسن به شديد .. وزاده فخرا ما كان منه لاحباط المؤامرة التي استهدفت حياة الأمير الظافر ، فقد رأى في عمله شرفا لا يوازيه شرف القيام بأي عمل سواه.

وكان يكون سعيدا ، ولكن القدر أبى الا تجربته ، فاذا هو يفقد ، بين ليلة وضحاها ، كل ما جمع في حياته من مال . ومع ذلك لم يفقد نعمة البصر .

وقال لولده :

— الحمد لله ، يا بني .. يذهب المال ويبقى طيب الذكر ، والعاقل من اذا خيّر لا يستبدل هذا بذاك . وعلى شرفة للدار كان « نصير » ، تلفّ الضمادات بعض أعضائه الجريحة ، فقال غير قادر على كتمان تأثره :

— صدقت يا أبي ، ولكن .. أكثير على « أبي الحسن » أن يبقى له المال وطيب الذكر معا ؟ قال أبو الحسن متضاحكا :

— لا يسأل الله عن هذا ، يا نصير .. وحسبي أن يكون سبحانه وتعالى أعاضني عن المال الذي أعطانيه وأخذه ، بهذه الجراح التي أثخنت بها ، وأنت تخوض أمجد معركة يخوضها انسان .

ولاح في حديقة الدار قادم ، وعرفه أبو الحسن وقال :

— صديقنا « ابن نباتة » هذا .

قال نصير متهللا :

— يا مرحبا بالأدب والصداقة .. وددت لو أنني قادر على الوقوف والمشي لأنزل الى الحديقة وألاقيه .

قال أبو الحسن :

— دعني أقم بهذا الواجب عنك .

— يا مرحبا ، يا مرحبا بصديقنا ابن نباتة .. لتعودني ولا شك أتيت .

قال ابن نباتة :

— بالنيابة عن الملك .

وغمر الارتياح وجه أبي الحسن ، وقال :

— بالنيابة عن الملك ؟!

وقال نصير متصنّعا :

— وما أتيت من أمر يستأهل هذه الالتفاتة الكريمة ليخصني الملك بها ؟!

قال « ابن نباتة » دهشا :

— لله أنت ، يا نصير .. أشيئا غير ذي أهمية أتيت بانقاذك الأمير الظافر من مؤامرة استهدفت حياته ؟!

— بطولة الأمير الظافر أنقذته .

— وجراحك هذه .. أما هي من بطولة أضفت بها وبأدبك الى ثروة أبيك المادية ثروة ضخمة من الشرف والمجد ؟

قال أبو الحسن مرتاحا :

— الحمد لله .. أخذ وأبقى ، أخذ شيئا فانيا ، وأبقى شيئا لا يفنى .

ولم يفهم « ابن نباتة » ما يعني . وقال :

— ما أخذ الله ، يا أبا الحسن ؟

أجاب متضاحكا :

— لا شيء ، لا شيء .

وقال لولده :

— حدثه ، يا نصير .. حدثه عن الأدب والشعر وأنا منصرف الى بعض شؤوني ، على أن نعود الى الاجتماع لتناول الطعام . قال هذا وراح .

وقال « ابن نباتة » لنصير مهتما :

— لم أفهم قول أبيك .. أتكون قد نزلت به خسارة مالية ؟

قال نصير مكتئبا :

— لم يبق لأبي مال .

وبوغت « ابن نباتة » بقوله ، فهتف :

— كيف .. كيف ذلك ؟

— لأبي ثلاث سفن تؤمّن نقل بضائعه ومحصولات أراضيه لعملائه عبر البحار . وقد ثارت الأنواء على احدى سفنه ، وأغرقتها بما فيها .

— خسارة جسيمة .

— وتجمل بالصبر عليها .. واذا هو يفاجأ بأخرى ، اذ شبت النار بواحدة من سفينتيه الباقيتين في عرض البحر ، والتهمتها بما فيها .

— لا حول ولا قوة الا بالله ..

— وثالثة الأثافي كانت باستيلاء القرصان على سفينته الثالثة والأخيرة ، وفيها البقية الباقية من ماله وأمله .

— كارثة والله ، كارثة .

— ومما يزيد في هول هذه الكارثة الديون المستحقة عليه ، والتي يأبى الا أن يوفيها في مواعيدها ، ولو اضطر الى بيع داره . قالها نصير والأسى يغمره . فهتف ابن نباتة :

— دار أبي الحسن تباع ؟!

قال نصير :

— وقد تباع مكتبتي كذلك .

ولم يبق في نفس الفتى مكان للأسى . فاذا هو ينتفض انتفاضة من يأنف الشكوى لدى الكوارث ، ويتابع قائلا :

— وما همّ .. شرف أبي الحسن لا شيء في الدنيا يوازيه .

* * *

قال المعتمد ، وقد أصغى الى ما نقل اليه « ابن نباتة » من أمر أبي الحسن والكارثة التي نزلت به مهتما :

— انا لله وانا اليه راجعون .. كبير تجار الأندلس ، وأحد عناوين ازدهاره الاقتصادي تنزل به كارثة كهذه ونقف منه موقف المتفرج ؟!

وتابع ، وقد اعتزم أمرا :

— لا ، يا ابن « نباتة » .. على « أبي الحسن » ديون وله ديون ، وليس من العدل أن يفي دائنيه ما استحق لهم ، ولا يفيه دائنون ماله رهن الاستحقاق عليهم .

قال « ابن نباتة » :

— ليس من العدل هذا ، ولكن .. يبدو يا مولاي أن ما له على الغير أقل بكثير مما للغير عليه .

قال المعتمد :

— في حسابه خطأ يا « ابن نباتة » .

قال « ابن نباتة » دهشا :

— كيف يا مولاي ؟

— ذلك أنه لم يدخلنا ، سهوا أو كرما ، في عداد مدينيه .

— أنتم يا مولاي ؟

— أليس دينا على « ابن عباد » ما فعل ولده ، والدم الذي أراقه هذا في سبيل ولدنا الظافر أغلى من أن يقدر بمال ؟

— أي ، والله .

— ودين على الأندلس عمر قضاه ذلك الرجل في العمل . لا دينه يأخذ عليه انحرافا عن الحق ، ولا دنياه تفتقر الى مكرمة يقوى على اتيانها وتبخل بها يده . فعلى « ابن عباد » والأندلس معا أن يفياه دينه قضاء لحقه . قال « ابن نباتة » :

— بقي أن يعترف هو بهذا الحق لنفسه .

قال المعتمد منتفضا :

— ويحك ، يا « ابن نباتة » .. أيكون لأبي الحسن رأي غير رأي الملك في الحق ؟

قال ابن « نباتة » :

— لأبي الحسن في الحق رأي لا يتنازل عنه ... الحق عنده أن يعطي مالا ويأخذ مالا ، وأما أن يعطي من دمه ولاء لمليكه ، وأن يبذل مما ملكت يداه ارضاء لربه ، فشرف لا يتنازل عنه لقاء كل ما في خزائن الدنيا من مال .

قال المعتمد مصرا :

— ولن نتنازل نحن عن رأينا في اغاثته .. تدبر الأمر وأنت صديقه ، ولا تسأل بيت المال عما تأخذ منه ، على شرط أن يكون لرأينا في الحق الغلبة على رأيه .

* * *

ازمة أبي الحسن في ذروتها . وما أن انتشر نبأها حتى تضاربت الآراء فيها وفي صاحبها . وكثر الشامتون ، ومعهم طلاب المكاسب ، ممن دأبهم انتهاز الفرص لتضخيم ثرواتهم .

وأقبل الوسطاء يتوسطون ويساومون .

وأغضب ذلك أبا الحسن ، فقال لأحدهم وقد جاء يساومه على داره :

— ما عرضنا دارنا للبيع أيها الوسيط ، ومع ذلك فأي ثمن تساوي في نظرك ؟

قال الوسيط :

— عندي من يشتريها بثلاثين ألف دينار .

— لا أكثر ؟

— قد أقنع المشتري بزيادة خمسة آلاف .

— بارك الله فيك .

— وعندي كذلك من يشتري مكتبة ولدك .

— ومكتبة ولدي أيضا ؟

— ما دامت ستعرض للبيع ، فالأفضل أن تباع اليوم بالثمن الجيد من أن تباع غدا بالمزاد في سوق الدلالة .

ونفد صبر « أبي الحسن » ، فصاح :

— على رسلك ، أيها الوسيط .. لم تبلغ الكارثة تمامها ، ولم يقطع أبو الحسن أمله بعد بالله ، وسندعوك الى نجدتنا يوم نحتاج اليك .

ما كاد الوسيط يمضي حتى كان أحد خدم الدار يستقبل شيخا مغربيا على الباب .

وقال الشيخ المغربي :

— أهذه دار « أبي الحسن » التاجر ؟

أجاب الخادم :



— هي بعينها ، يا سيدي .
— أللّه ، أللّه .. انها فوق ما كنت أتصور فخامة وروعة .
وتابع الشيخ قائلا للخادم :
— وأبو الحسن هنا ؟
أجاب الخادم :
— في الدار ، يا سيدي .
— والفتى الجالس هناك ، في طرف الحديقة من يكون ؟
— هذا ولده « نصير » .
— بارك الله فيه .. وأنت ؟
— واحد من خدمه .
— أيستقبلني سيدك زائرا ؟
— على الرحب والسعة .
— هكذا ، دونما استئذان ؟
— ما عودنا سيدي « أبو الحسن » الاستئذان لزائريه ، وكل من وطأ عتبة داره أصبح ضيفا عليه ، فتفضل يا سيدي الشيخ بالدخول .
— يا مرحبا ، يا مرحبا بالزائر .

قالها أبو الحسن للشيخ المغربي ، وكأنه غير من دارت به الأيام ، وجردته من كل ما كان يساعده على توفير أسباب الاكرام لزائريه .
وغمر الارتياح الشيخ ، وقال :
— ما بالغ واصفكم لي ، يا سيدي التاجر .
— وما قال واصفي لكم ؟
— ما عرفت أشبيلية ولا الأندلس خلقا أبر بالناس من خلقكم ، ويدا أندى بالمعروف من يدكم ، وجنانا أثبت ايمانا بالله وبما أوصى تعالى من جنانكم .
قال أبو الحسن متضاحكا :
— وما بالغ واصفي بكل هذا تقول ؟!
وأردف قائلا :
— غريب أنت عن أشبيلية .
قال الشيخ :
— مغربي أنا .. أنعم الله عليّ بالمال الكثير ، وحرمني الأهل والوراث ، ولذا تراني أخا سفر وجوابة آفاق ، وفي مدينتكم ألقيت عصا الترحال ، وطابت نفسي الى الاقامة .
— من حسن حظ مدينتنا هذا .
— وغير مرة مررت بداركم واستهواني حسنها ، وتمنيت لو أن لي دارا مثلها .. أيسمح سيدي بأن أعرض الثمن الذي أقدره لها ؟
وانتفض أبو الحسن لما سمع . أبعد الوسيط يساومه الشيخ هذا على داره ؟ وتمالك قائلا :
— أقيل لكم يا سيدي الشيخ أن داري معروضة للبيع لتساوموني عليها ؟
قال الشيخ معتذرا :
— عفوك ، يا « أبا الحسن » .. ما أنا بالمساوم ، ولا أنت من يرى غضاضة في المتاجرة ، والدار كغيرها من متاع الدنيا تشرى وتباع ، وما ضر أن يأتيك من يشتريها بمائة ألف دينار ؟
— بمائة ألف دينار ؟
هتف « أبو الحسن » دهشا ، فقال الشيخ :
— تستقللها ؟
— أستكثرها .
— دعني اذن أنقدك اياها .. هذا عقد من اللؤلؤ يساوي قيمتها وأكثر .
— ولكن ، يا سيدي ..
— دعني أكمل .. خذ هذا العقد ثمنا لدارك ، وأنا على أهبة سفر الى بلاد الفرنجة ، وما أدري ما يكون مصيري خلال هذا السفر ، فاذا عدت تسلمت الدار منك ، واذا لم أعد تبقى لك دارك حلالا .
وتعالت ضجة في الحديقة وصوت يقول :
— حياك الله ، يا نصير .. لنا الى الوالد حاجة ، فهلا أذن لنا بعرضها عليه ؟
وقال « أبو الحسن » للشيخ المغربي :
— شراع في النهر ، وجماعة .. انتظر يا سيدي لأرى ما حاجتهم اليّ وأعود .

وراح الى حيث كان ولده جالسا في الحديقة ، في مكان غضّ الأشجار على ضفة نهر ، وفي النهر زورق يحمل جماعة ، ما أقبل عليهم ، حتى قال من كان يبدو أنه كبيرهم :
— السلام عليك ، يا أبا الحسن .
وتابع قائلا :
— لدينا كمية وافرة من الزيت الأشبيلي ربيحة الصفقة ، وليس لها سواك فهلا أقدمت كعادتك في الاقدام عليها ؟
قال « أبو الحسن » مرتبكا :
— كمية وافرة من الزيت .. وما ثمنها ؟
قال رجل الزورق :
— لن نختلف على الثمن .. أحزم أمرك ، ودعنا نعتبر الكمية داخلة منذ الآن في حسابك .
قال الرجل هذا وراح بزورقه .

وأطرق « أبو الحسن » يفكر . وما عاد من اطراقه وتفكيره الا وهو في الدار يسأل عن الشيخ المغربي .. وشدّ ما كانت دهشته ، عندما علم أنه غادر الدار ، وترك عقد اللؤلؤ الذي عرضه ثمنا لها .
لقد اشترى الدار اذن ، فيا له من شيخ غريب.
وعبثا حاول « أبو الحسن » حل اللغز ، الا أن ايمانه جعله يستسلم للأمر الواقع ، فقال :
— من لدنك يا رب أتى هذا الشيخ ، وبمشيئتك انتقلت داري كما انتقلت اليه ، فأنا ضيف عليه الى أن يعود ، وان لم يعد فأنا يا رب ضيف عليك .

° ° °

— وما أوحى اليك بهذه الحيلة ، يا « ابن نباتة »؟
قالها المعتمد مرتاحا ضاحكا .
« ابن نباتة » كان الشيخ المغربي الذي اشترى دار أبي الحسن بالعقد الثمين ، ومن جماعته كان رجال الزورق أصحاب الزيت الوفير . والحيلة كانت مبتكرة .
قال الشاعر :
— ارادة الملك أوحت بهذه الحلية اليّ ، وفي وسع « أبي الحسن » انتظار الشيخ المغربي الذي لن يعود ، وهكذا نكون قد أعنّاه من غير منّة .
— وما تخشى أن يحتفظ بالعقد أمانة ولا يتصرف به ، فتضيع الغاية التي توخيتها من حيلتك ؟
— كلا ، يا مولاي .
— وما أدراك ؟
— ذلك أني نقدته ثمن داره وما قال لا ، وتركته أمام أمر واقع لا حيلة له في التراجع عنه ، وأتحت له صفقة رابحة بالزيت الذي دخل في حسابه . قال المعتمد متهللا :
— الحمد لله .. وفينا دين الوالد على الأندلس نقدا ، ودين الولد علينا نفيه بالشكر ، فربّ كلمة شكر يجد الأديب فيها ما لا يجده في المال من معاني الوفاء . ■





للشاعر محمد أحمد العزب

أشواقي في فرط عناقيدك
فلأجل عذابات قيودي
رشي خطواتك في مرجي
ويقال بأن الأعصار
أطفأت الشمس الألاقة
وأقامت بين أمانينا
في المرفأ .. خف مشقوب
وقميص مهترىء شاحب
وخيال يبكيه الموضع
وهناك رسائل مكتوبة
أحرفها شوك .. وجفاف
وشكاة رباب رعاف
معناه : حط هنا شاعر
وفتاة تحمل شبابه
غناها الشاعر أحلامه
وبكل ضراعات ربابه
فأضل البحر سفينته
يوما .. والعالم ذهلان
أصغى .. فرأى طيرا يحدو
أصغى .. لخرير في الجدول
أصغى .. فاذا كل غناء
فأفاق .. وردد ... سأغني
من يدري .. فلعل شكاتي
وأذاب مع الليل شموعه
ومشى في الشوك .. وللشوك
وجثا يستاف جراحاته
ويهز الموج بكفيه
ويغني .. ويضيء الدنيا
فانشق البحر عن الحلوه

ودموعي زفرة تنهيدك
ولأجل جراحاتي .. عودي
فالزورق ضل مع الموج
والريح .. وليل الأنهار
أحرقت الأرض الخلاقة
والهوة حبا وصداقة
وجراح تعوي .. وندوب
وكتاب مفتوح راعب
لغريب أبحر لم يرجع
بدموع الطل المكتوبة
وشواطىء تبكي وضفاف
يحنو لأساه الصفصاف
في يده قلم .. ودفاتر
تتأود عشقا وصبابه
ومضى يهديها أنغامه
وشوشها أحلام شبابه
وابتلع الموج حبيبته!
والأفق الدامع غيمان
فيصيخ الأخضر .. والصلد
فرأى الأسماك به تشمل
يبتعث حياة الأحياء
شعرا .. للبحر .. وللفن
تعطفها ... فترد فتاتي
وأراق مع الفجر دموعه
وغفا في القمة .. والدرك
ويلوب بكل عذاباته
ويقبل حتى عينيه
أنغاما تحلم باللقيا
تبحث في الشاطىء عن غنوه




تأليف : الدكتورة بنت الشاطيء
عرض وتحليل : الأستاذ عزت محمد ابراهيم

على الجسر

كنتُ قد قرأت في احدى المجلات فصلا من فصول كتاب « على الجسر » للدكتورة « بنت الشاطيء » تتحدث فيه عن شطر من حياتها الذي اتصلت فيه أسبابها بأسباب أستاذها وزوجها الشيخ أمين الخولي – رحمه الله.. ويصلني الكتاب فأجد على غلافه عنوانين هما : « على الجسر » ، و « أسطورة الزمان » .

فأي أسطورة تلك التي تعنيها الدكتورة ؟ أهي أسطورة كلفها بأستاذها وزوجها ؟

جميل أن يبلغ الوفاء بالناس هذا المبلغ ، وجميل أن تعبر كاتبة أديبة عن عاطفتها – حين تجيش – هذا التعبير .

وفي الناس آلاف وآلاف تعاهدوا على الاخلاص والوفاء ، لا يهنأ للواحد منهم عيش ، ولا تطيب له حياة بغير أليفه وزوجه الذي يسكن اليه ، فيجد عنده الراحة والهناء .. فان كانت كل قصة من هاتيك القصص أسطورة ، فنحن حقا نعيش في زمن الأساطير .

ولكن الدكتورة تأبى أن يكون لقصتها مشابه أو نظير : « كنا الواحد الذي لا يتعدد والفرد الذي لا يتجزأ ، وكانت قصتنا أسطورة الزمان ، لم تسمع الدنيا بمثلها قبلنا ، وهيهات أن تتكرر الى آخر الدهر » .

هي مبالغة لا مراء .. ولكنها المبالغة التي تغفر في مقامها ، مقام الحزن والالتياع والحياة حين تجدب وتقفر .

وما عرفت الدكتورة تنشيء الشعر أو ما يشبه الشعر ، ولكن الحزن وله قلبها ، فأنطقها بما لم تكن به تنطق الا ما كان من محاولات الصبى في كتابة الشعر ، فهي تترنم ترنيمات الأيامى واليتامى والثكالى ، بكلمات في أول الكتاب .

على الجسر ، ما بين الحياة والموت ،
أقف حائرة ضائعة في أثر الذي رحل
وعلى الجسر ،
ألتفت الى الناحية الأخرى ،
حيث المصير المحتوم لكل حي ، لا عاصم منه ولا مفر .

وكم أثرى الحزن الأدب وأخصبه منذ كانت الخنساء وابن الرومي ، وكان عزيز أباظه وعبد الرحمن صدقي وبنت الشاطيء ، الى يوم يبعث الله الناس الى ميقات يوم معلوم .

وتسترجع الدكتورة المؤلفة ماضي حياتها منذ استطاعت أن تعي ما أبقت عليه الذاكرة وما وعته من أحداث الزمان ، أو من أحاديث الأقدمين العارفين حين يتحدثون عن الأسرة ومكانتها والبيت القديم على شاطيء النيل . وربما اختلط الخيال بالواقع ، ولكن يبقى على أي حال خطوط عريضة تنبيء عن النشأة الأولى ، وتفصح عن الأصل البعيد .

لقد رضعت لبانة الحزن صغيرة تحبو حين تستمع الى حكاية غرق جدتها في ماء النهر ، وحين ترى دموع أمها تسح على عينيها من لوعة وكمد ، وهي تقص عليها الحكاية الحزينة .

وحديث الدكتورة عن حياتها حديث خاص

بها ، وهو أيضا حديث عام يمس من قريب أو بعيد ما كانت تلقاه الفتاة في أوائل هذا القرن من نصب وتعب في تعليمها واختلافها الى المدرسة ، وما كان ينتاب ولي أمرها من توجس وخيفة من هذا الجديد الوافد من بعيد : مدرسة للبنات يختلفن اليها ، ويتلقين صنوف العلم بين جدرانها .. وما اعتادوا لها تعليما الا في عقر الدار ، أو في كتاب يعلم القرآن ومبادىء الكتابة والحساب.

وتعلمت الفتاة في المدرسة ، واتصلت بالصحافة فكانت الكاتبة المرجوة لمستقبل مأمول ، وأتيح لها أن تمضي في الشوط الى أبعد آماده ، فتذهب الى الجامعة ، تلك التي قدر لها أن تحتضنها طالبة وأستاذة قد طاب لها المقام بين قاعاتها وأروقتها ، فلا تريد منها فكاكا أو افلاتا .

ولعل الصحافة قد أغرتها واستهوتها ، ولعل الحياة العامة قد نازعتها ، ولكن للجامعة سطوة أقوى وأشد ، ومن عرف لذة البحث ومتعة الدرس ، والحرص على الافادة والنفع ، فهيهات أن تغريه من دنياه مغريات .

وقد كانت الصحافة جديرة بأن تغريها وتستهويها ، وهي تفسح لها صدرها ، وتوسع لها من صفحاتها ، وتوطىء لها الأكناف ، وتذلل لها المصاعب والعقبات ، فتتيح لها صحيفة الأهرام أن تحتل الصفحة الأولى منها ، وهي بعد في بواكير حياتها ، لم يشتد منها العود ، ولم تقو منها العزيمة ، ولم تعرف من آفاق الفكر والثقافة غير النزر اليسير .

وأين ما كانت تكتبه حينذاك من كتبها ودراساتها اليوم ؟.. بون شاسع بين الحالين لا مراء .

أتراها كانت تصل الى غايتها المقدرة لو جرفتها الصحافة حينذاك في تياراتها وغمرتها بالألاء أضوائها ؟ لا أظن ، ولا أحسبها هي أيضا تظن ، وقصارى ما كانت تبلغه من دنياها بعد زمان طويل أن تصبح واحدة من صحفيات عديدات ، مغمورات أو مشهورات . وليس أقدر من دوامة الصحافة على ابتلاع كل ذي مقدرة في مجالات الأدب والفكر .

واشتغلت عائشة عبد الرحمن بالتدريس ، قد انصرف ذهنها عن الجامعة الى حين ، وما هذه الجامعة التي لا يتهيأ الالتحاق بها الا لمن درس لغة أو لغتين ؟ ، وأنى لها ذلك وهي التي لم تعرف غير لغة القرآن درسا ولسانا وتحصيلا ، فلم ينحرف لسانها يوما عن لغة الضاد ، ولم ترطن يوما رطانة الأعجمين .. فليكن اذن انصراف الى حين .

واذا كان اسم الجامعة قد وقع على أذنيها موقع الغرابة والدهشة ، فهي الجامعة التي قدر لها بعد ذلك أن تلتقي فيها بشيخها وزوجها ، وكأن كل شيء قد رسم بدقة واحكام .

والتحقت بالجامعة بعد حين مقدور ، في نجوة من الأهل والأقربين ، وقد كانوا يحسبونها بدعة من البدع .

ولم يتح لها لقاء أستاذها في السنة الأولى في الجامعة ، فلم يقدر لها التلمذة عليه في عامها ذاك ، ولكن دوي اسمه كان يملأ سمعها من شكاة الطلاب توجعا من صرامة منهجه وشدته ، ودقة حكمه وتقييمه . وتسمع ما تسمع فترجع السبب في ذلك الى ضعف الطلاب لا الى شدة الأستاذ ، ولو كانوا قد درسوا ما درست هي من علوم اللغة ، ولو طالت صحبتهم كما طالت صحبتها للسكاكي والقزويني والسبكي والطبري ومن لف لفهم ، ما كانت هناك شكاة ولا أنة . ثم عرفت بعد ذلك أي غرور كان يملأ جوانحها . والغرور يملأ الجوانح ما عاش المبتلى به في الأفق الضيق والحيز المحدود ، يحسب ما حصّل من علم هو غاية المطاف ، فاذا جاوز أفقه واستشرف آفاقا أخرى رحبة فسيحة ، علم أي غرور كان يرين على نفسه .

وجمعتهما قاعة الدرس : تلميذة بين غيرها من التلاميذ ، وأستاذا له من المهابة قدر ملحوظ ، وعرفت في لقائها الأول أي قشور تلك التي أمضت حياتها في تحصيلها ، وهي تحسبها اللباب كل اللباب .

كانت تقرأ مباحث الأقدمين قراءة عابرة سريعة حاسبة أنها قد بلغت منها غاية ما ينبغي وقصارى ما يستفاد ، وبين ما كانت تعرف وعرفت أمد قصي ، تعلمت بعده كيف تطيل النظر في النص الواحد لا تعدوه الى غيره حتى تحسن فهمه وتمثله واستيعابه ، وربما أمضت شهورا تمعن النظر في كلمة واحدة فقط من كلمات القرآن الكريم ، تستجلي منها سر الاعجاز ومكامن القوة .

لقد علمها أستاذها كيف تقرأ ، ثم كيف تكتب ، فأحسنت الافادة والانتفاع أو بلغت منهما غاية المستطاع .

وهو استدراك أريد أن أصل منه الى مبلغ ما انتفعت به . هي ولا شك قد أفادت في باب المنهج أناة وروية في البحث والدرس ، تجد أثره في كتبها « الغفران » و « الحياة الانسانية عند أبي العلاء » و « التفسير البياني للقرآن الكريم » .

اما من ناحية التاريخ وتراجم الشخصيات ، فقد كان منهج الخولي فيه أشد صرامة وأعتى قوة ، وأعصى على الطاعة والانقياد ، وكان هو لباب الاختلاف بينه وبين العقاد ، كان الخولي يرى تنقية التاريخ من الشوائب والحواشي والمرويّات ، وعرض الترجمة كما هي بنقائصها وفضائلها ، وعلى نحو آخر كان يراها العقاد ، ولعل في تقديم الخولي لكتاب بنت الشاطيء « سكينة بنت الحسين » بعض بيان لمنهجه :

« التاريخ اليوم درس دقيق ينفذ الى ما وراء الأحداث المسرودة ، وما خلف الأخبار المروية ، ليستشف العوامل التي تسيرها والمؤثرات التي تتحكم فيها ، والتاريخ لذلك لا يتلقى الأخبار في استسلام ، ولا يتقبل المرويّات في تساهل ، بل يفحص ذلك كله ويختبره وينقده ، ثم هو بعد ذلك يربط بين السابق منها واللاحق ، يرد المسبب الى سببه ، ويتبين المقدمة التي أدت الى النتيجة ، ويهتدي في ذلك بما عرف البحث الأصيل من حال الاجتماع البشري ، والسنن المقررة لحياة المجتمعات الانسانية .

واذا كان هذا هو شأن التاريخ اليوم ، فان القارىء يدرك اذن في وضوح أن الأخبار التي حفظتها تلك المؤلفات ، أو الموسوعات الأولى ، ليست هي التاريخ ، وانما هي مادة التاريخ وخامات دراساته .. »

* * *

هكذا عرفت الدكتورة بنت الشاطيء أستاذها ، وهكذا عرفه تلاميذه العديدون ، ومنهم من أصبحوا أساتذة في الجامعة يبجلونه ويحترمونه ، تبجيلهم واحترامهم له ، وهم في صفوف الدرس لا يزالون ، ثم لا يكفون عن الاشادة بذكره ، واللهج بفضله ، في كل مقام يأتي فيه ذكره على لسان . ومن ذلك أن الدكتور عبد الحميد يونس كان يكثر من الاشادة به ، والاعتراف بفضله ، وله ابن صغير كأنما ضاق بهذا الاكثار من ذاك المديح والثناء ، فقال في براءة الأطفال ، وعلى مسمع من حضور ، كنت أنا من بينهم :

— كيف يكون أستاذا لك ، وأنت دكتور ، وهو ليس بدكتور ؟

وضحك الحاضرون ، ورد الدكتور على منطق ابنه الصغير يقول :

— أستاذ يا بني أستاذ .

يفخمها ويضخمها ويملأ بها شدقيه ، وكأنه لا يجد غيرها ردا . ■



ه منذ ثلاثين عاما يعكف العلامة الدكتور يوسف أسعد داغر على اعداد معجم فرنسي – عربي يلبي حاجات الدارسين ويستوفي مطالب العلم والتقدم الحضاري الحديث . وقد أوشك هذا العمل على تمامه ، وينتظر ان يقع في نحو ١٧٠٠ صفحة من القطع الكبير وأن يشتمل على أكثر من ألفي رسم توضيحي .

ه من كتب المصادر التي ظهرت أخيرا كتاب « فهرس المقتطف » وهو يقع في ثلاثة اجزاء كبيرة تضم فهرسة كاملة لمجلة « المقتطف » التي توالى صدورها ٧٥ عاما واحتجبت في سنة ١٩٥٢ . وقد أعد هذا الفهرس الدكتور أحمد موسى ، وأكمله بعض أساتذة الجامعة الامريكية ببيروت ، وصدر باشراف الدكتور فؤاد صروف الذي تولى بنفسه رياسة تحرير « المقتطف » ربع قرن بعد وفاة منشئها الدكتور يعقوب صروف .

ه أصدر الشاعر اللبناني الاستاذ بولس سلامة كتابا جديدا حافلا بالنظرات العميقة في مجالات الأدب والفكر والاجتماع اطلق عليه عنوان « ليالي الفندق » ، وجعل الحديث فيه مساجلة بينه وبين صديقين .

ه من كتب التراث التي صدرت أخيرا « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » لجلال الدين السيوطي وقد حققه في جزءين ضخمين العلامة الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، و « الحجة في علل القراءات السبع » لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي وقد صدر جزؤه الأول محققا بأقلام الدكاترة علي الجندي ناصف ، وعبد الحليم النجار ، وعبد الفتاح شلبي ، و « رسائل الصابي والشريف الرضي » تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، و « نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب » للمقري وقد حققه في ثمانية أجزاء مفهرسة الدكتور احسان عباس ، و « مجالس العلماء » لأبي القاسم عبد الرحمن الأنباري وقد حققه الاستاذ عبد السلام هارون ، و « المصون في الأدب » لأبي الحسن بن العسكري ، وهو أيضا من تحقيق الأستاذ هارون و « التحبير في التذكير » لعبد الكريم القشيري وقد حققه الدكتور ابراهيم بسيوني .

ه صدرت طبعة جديدة للكتاب المشهور « تاريخ الصحافة العربية » للفيكونت فيليب دى طرازي ، ويسجل هذا الكتاب تاريخ الصحافة في الديار العربية الى ما بعد الحرب العالمية الاولى . كما أصدر ألاستاذ فايق بطي كتابا جديدا بعنوان « صحافة العراق ، تاريخها وكفاح أجيالها » محاولا به اتمام العمل الذي بدأه والده الراحل الأستاذ رفائيل بطي في تسجيل تاريخ مفصل لصحافة هذا القطر .

ه من بين الكتب التي صدرت أخيرا عن ليبيا ، هذه المجموعة « تاريخ ليبيا » للدكتور احسان عباس ، و « ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات » و « ليبيا في كتب التاريخ والسير » للدكتور عباس أيضا بالاشتراك مع الدكتور محمد يوسف نجم .

ه من بين الكتب التي تبحث في التراجم والسير صدرت هذه الطائفة : « أبو جعفر المنصور » للاستاذ علي أدهم ، و « سيف الله خالد» للاستاذ علي الجندي ، و « هيجل » للاستاذ عبد الفتاح الديدي ، و « البحث عن شكسبير » للدكتور لويس عوض ، و « ابن مقرب – حياته وشعره » للاستاذ عمران محمد العمران .

ه من الدراسات الأدبية الجديدة التي صدرت مؤخرا « اعترافات أبي نواس » للاديب الراحل كامل الشناوي ، و « تاريخ الفكر المصري الحديث » للدكتور لويس عوض ، و « دراسات في الأدب والفن » للاستاذ نجم الدين الكيب ، و « الفكر الألماني » لادوارد سبنلي ، وترجمة الأستاذ تيسير شيخ الأرض ومراجعة الدكتور أسعد درقاوي ، و « الوضع العام في بلاد الشام في القرن الثامن عشر » للدكتور أسامة عانوتي .

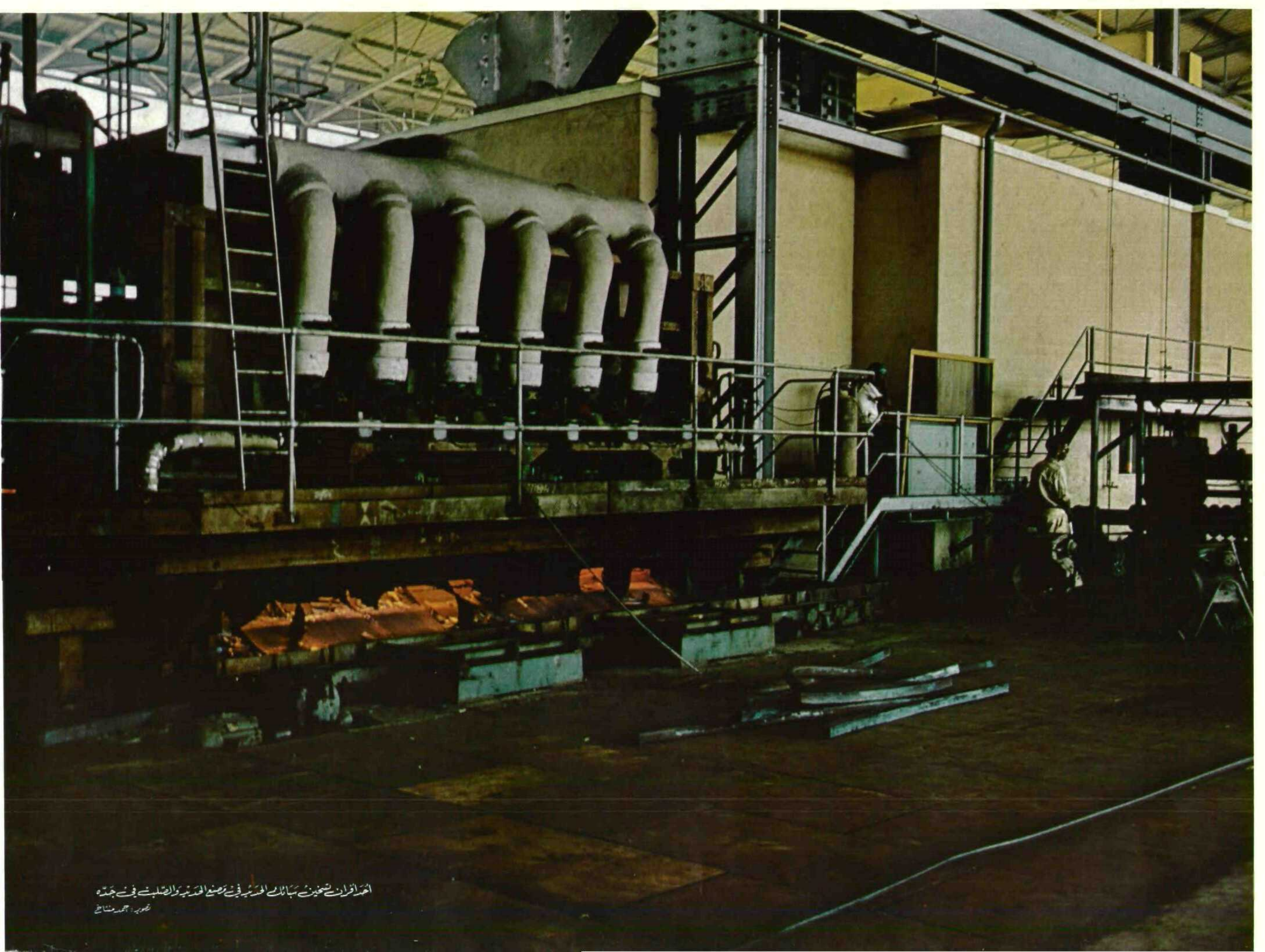
ه من الدواوين الشعرية الجديدة التي صدرت أخيرا « بحيرة العطش » للشاعر السعودي الكبير الأستاذ حسن عبدالله القرشي و « أضاميم الأصيل » للاستاذ حامد حسن ، و « حجر الحب وقصائد الفرح » للأستاذ جورج غانم .

ه وفي الأدب الروائي بأبوابه المختلفة صدرت مجموعة من الكتب ، منها المجلد الثالث من مسرحيات « راسين » باشراف الدكتور طه حسين ، ويضم هذا المجلد مسرحية « بايزيد » ترجمة الأستاذ بسيم محرم ومراجعة الأستاذ عبدالحميد الدواخلي وتحقيق الأستاذ ايليا نعمان حكيم ، ومسرحية « ميتريدات » ترجمة الأستاذ ألفريد بلدي ومراجعة الاستاذ الدواخلي وتحقيق الدكتور محمد محمد القصاص ومسرحية « ايفيجيني » ترجمة الدكتور مصطفى ماهر ومراجعة الدكتور يحيى الخشاب وتحقيق الأستاذ الدواخلي . كذلك صدرت مسرحية « بعد الغمام ينزل المطر » تأليف الدكتور شحاته آدم محمد ، ومسرحية « رحيل آخر الليل » للأستاذ محمود الخطيب . كما صدرت رواية طويلة للاستاذ محمد عبد الحليم عبدالله عنوانها « للزمن بقية » ، وصدرت مجموعتان من الأقاصيص هما « أربطوا أحزمة المقاعد » للأستاذ أحمد ابراهيم الفقيه و « دماء في الصبح الأغبر » للأستاذ وليد اخلاصي .

ه من الكتب العلمية الجديدة التي صدرت حديثا الجزء الأول من كتاب « أنثروبولوجيا الاجتماعية » للدكتور علي اسلام الفار ، و « الانسان وعمران الأرض » للدكتور فيليب رفلة والأستاذ أحمد سامي مصطفى ، و « مبادىء الكيمياء الصناعية » للدكاترة مدحت اسلام و رفعت ابراهيم و سيد علي حسن ، و « الكيمياء العملية » للدكاترة محمود زيد وسعد الدين زيان وطلعت شفيق ، و « الفيروس » للدكتور محمد عزيز فكري ، و « تقييم الأغذية ومراقبة جودة الانتاج » للدكتور محمد ممتاز الجندي ، و « البكتيريا » للدكتور مصطفى أبو الذهب .

ه صدر الجزء الأول من كتاب « مناهج وأساليب في التربية والتعليم » للأستاذ الياس ديب.

ه من الكتب الاسلامية التي ظهرت حديثا « المصلحة في التشريع الاسلامي » ، و « من هدي السنة » وكلاهما للدكتور مصطفى زيد ، و « أدب السياسة في العصر الأموي » للدكتور أحمد محمد الحوفي .



أحد أفران تسخين سبائك الحديد في مصنع الحديد والصلب في جدة

تصوير: حمد مناخ



«.. يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ»

(قرآن كريم) سورة النحل - آية ٦٩

(راجع المقال)

تصوير برلي مودي